تحقيق القول في عقيدة الشيخ عدي بن مسافر وبيان مدى صلته باليزيدية

"محمد نبيل" طاهر العمري *

ملخص

يستعرض هذا البحث حقيقة معتقد شيخ جليل القدر، تعددت النظرات إليه؛ فمن واصف له بأنه إله أو شريك للإله، أو أنه رجل صوفي متعدد الكرامات، بحيث تظهر خوارق العادات على يديه كما تجري العادات على أيدينا، أو من واصف له بأنه رجل فاضل، عالم، جليل القدر، معتقد اعتقاد أهل السنة والجماعة.

كما يظهر البحث علاقة الطائفة اليزيدية بالشيخ، ومدى مغالاتها فيه، حيث نسبت إليه كثيرا من الأفعال والأقوال المؤدية– من وجهة نظر أهل السنة والجماعة– إلى الكفر.

وقد رصد هذا البحث عقيدة الشيخ من خلال أهم كتبه على الإطلاق وهو "اعتقاد أهل السنة والجماعة" وتبين للباحث أن الشيخ لم يخرج في عقيدته عن عقيدة أهل السنة والجماعة لا سيما العقيدة الأشعرية التي اعتمدت في إثباتها العقيدة على العقل والنقل.

الكلمات الدالة: الشيخ عدي بن سافر، اليزيدية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد لفت انتباهي وأنا أقرأ عن طائفة اليزيدية تردد اسم عدي بن مسافر كثيرا، واختلاف الناس فيه بأن جعله بعضهم إلها أو شريكا لله [١]، وجعله بعضهم "قبلتهم التي يصلون إليها، وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها" [٢]، وبين ناظر إليه أنه من الأولياء الكاملين، فهو: "أوحد أركان الطرق الصوفية، وأعلى العلماء بها" [٣]، وبين واصف له بأنه "من أفاضل عباد الله الصالحين، وأكابر المشايخ المتبعين" [٤]، أو أنه "الشيخ الإمام الصالح القدوة، زاهد وقته" [٥].

هذه النظرات المختلفة إلى الشيخ رغبتي في معرفة حقيقة معتقده وفكره، فاستعنت بالله على ذلك، واخترت عنوان بحثي: "تحقيق القول في عقيدة الشيخ عدي بن مسافر وبيان مدى صلته باليزيدية "، وقسمته إلى ثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: التعريف بعدي وباليزيدية، ويتضمن خمسة فصول:

الفصل الأول: اسمه ونسبه وكنيته.

الفصل الثاني: مولده ووفاته وعصره وحياته.

الفصل الثالث: شيوخه وتلاميذه.

الفصل الرابع: علمه ومؤلفاته.

الفصل الخامس: التعريف بالطائفة اليزيدية.

المبحث الثاني: موقف الفرق من عدي بن مسافر، ويتضمن ثلاثة فصول:

الفصل الأول: موقف أهل السنة.

الفصل الثاني: موقف المتصوفة.

الفصل الثالث: موقف اليزيدية.

المبحث الثالث: عقيدة الشيخ عدي، ويتضمن ثلاثة فصول:

الفصل الأول: عقيدته في الإلهيات.

الفصل الثاني: عقيدته في السمعيات.

الفصل الثالث: عقيدته في الإمامة ورأيه في الصحابة.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث

فإن أكن وفقت فيه فبتوفيق من الله تعالى، وإن كانت الأخرى فذلك شأن البشر، والله الموفق.

المبحث الأول: التعريف بعدي بن سافر وباليزيدية

---

* قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث ٤/ ٣/ ٢٠٠٩، وتاريخ قبوله ٢٧/ ١/ ٢٠١٠.

الفصل الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته:

أولا: اسمه:

تشترك اغلب المؤلفات التي تتحدث عن الشيخ في اسه ونسبه، وتختلف بعد ذلك في الإطالة فيه أو الاقتصارطى

بعضن آبائه، وأطول ما ذكر من نسبه ما نسبه الدكتور سعيد الأحمد وزهير كاظم عبود إلى ابن خلكان من أنه "عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم" (٦).

وبالعودة إلى وفيات الأعيان لابن خلكان لا نجد هذه السلسلة في النسب، وإنما قوله: "الشيخ عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان، كذا أملى نسبه بعض قرابته " (٧).

وربما يكون النسب الذي أشارا إليه مقبولا عقلا، إذ أن ابن تيمية يشير إلى أن الاكتفاء بنسب عدي إنه "عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن أحمد بن مروان بن الحكم بن مروان الأموي كذب قطعا، إذ أنه يمتنع أن يكون بينه وبين مروان بن الحكم خمسة أنفس" (٨). وإذا ما قبلنا ما ذكراه من نسب عدي، نجد أن بينه وبين مروان بن الحكم تسعة أنفس يمكن أن يكونوا الحلقة المفقودة التي تسد الخلل الذي أشار إليه ابن تيمية.

وقد نجد اختلافا في اسمه؛ فالمشهور أنه "عدي" ولكن هناك من يطلق عليه "عادي" أو "آدي" أو "هادي" أو "الشيخادي" وكلها أسماء لشخص واحد هو الشيخ عدي ابن مسافر. (٩) وربما كان الاختلاف في لفظة اسمه ما بين العرب والأكراد الذين لا يتقنون لفظ حرف العين فيقلبونه هاء أو همزة ممدودة "آ".

كما نجد اختلافا يسيرا في اسم أبيه، إذ يشير الذهبي إلى أن اسمه "صخر" ولكنه رجح أن يكون "مسافرا" وليس صخرا إذ يقول بعد سرد نسبه "وقيل عدي بن مسافر وهذا الأشهر" (١٠).

ويبدو أن الذهبي وهم في الاسم حيث إن عدي بن صخر هو ابن أخ عدي بن مسافر، إذ أن هناك شخصيتين كانتا تحملان اسم عدي، أحدهما هو الشهير بالشيخ عدي بن مسافر الأموي المتوفى سنة ٥٥٥هـ، وقام في محله بعده ابن أخيه المدعو أبو البركات بن صخر بن مسافر، الذي ذاع صيته، و اشتهر أمره، والثاني هو أبو المفاخر عدي بن أبي البركات" (١١).

ثانيا: نسبه:

يجمع أكثر المؤرخين والباحثين على أن نسب عدي يتصل بمروان بن الحكم الأموي (١٢)، فإنه اشتهر بعدي بن مسافر الأموي أو الشامي، غير أن بعض الباحثين يرجعون شبه إلى غير العرب، فهناك "من يرى أن عدي بن مسافر لم يكن أمويا، فيرى المؤرخ ابن عنبة في تاريخه الفصول الفخرية صفحة ٣٧ أنه كردي من الهكارية، ويرى الباحث يعقوب سركيس بأن نصا كتبه الراهب راميشوع ورد فيه أن والد الشيخ عدي من الأكراد، كما يؤكد ذلك المؤرخ البغدادي إسماعيل في كتابه إيضاح المكنون، ذكره عبد الرحمن مزوري في كتيبه تاج العارفين عدي بن سافر الكردي" (١٣).

وقد حسم المسألة أحد تلاميذ الشيخ ممن نسخوا كتابه "اعتقاد أهل السنة والجماعة" بقوله: "أملاه من حفظه وأمر بكتبه الشيخ الإمام الأوحد العالم العارف شرف الدين.. عدي بن مسافر ابن إسماعيل بن موسى الأموي" (١٤)، كما ورد ذلك في أهم كتب اليزيدية "مصحف رش" ثم أرسل الشيخ عدي بن سافر من أرض الشام وأتى إلى لالش" (١٥).

بالإضافة إلى ذلك، فإن كثيرين من الباحثين والمؤرخين يشيرون إلى أن الهكارية (١٦) هي مستوطن عدي وليست موطنه، إذ يشير ابن تغري بردى إلى ذلك فيقول: "أبو الفضائل الأموي الهكاري، استوطن ليلش من جبل الهكارية إلى أن مات بها" (١٧).

ويؤكد ابن خلكان ذلك بقوله بعد ذكر نسب عدي: "الهكاري مسكنا" (١٨)، فهذه النصوص وغيرها تثبت أن عديا ينتمي إلى الهكارية مسكنا لا نسبا، وأما النسب فهو مرواني.

ويؤكد إجماع المؤرخين على أن مولده كان في قرية "بيت فار" (١٩) من قرى بعلبك في لبنان، وانه لم يكن كرديا، بل كان عربيا أمويا، انتقل في نهاية تطوافه في البلاد سائحا إلى الهكارية، وأقام فيها، وربما كانت إقامته فيها واشتهار أمره بين الناس مع غلبة الجهل به عليهم جعلهم ينسبونه إلى بلدة الهكارية الكردية.

ثالثا: كنيته:

لم يتزوج عدي بن مسافر كما هو المشهور عنه، فكان يلقب بعدي الأعزب، ولكن ابن تيمية قال في التعريف به "... أبي البركات عدي بن سافر الأموي" (٢٠)، وربما كان هذا خطأ من ابن تيمية في هذه الكنية، إذ أن أبا البركات هو ابن أخيه صخر الذي خلفه من بعده، إذ يؤثر عن الشيخ قوله: "أبو البركات يخلفني" (٢١).

وقد كناه الذهبي بأبي محمد، فقال عما عرف به: "...الشيخ الإمام الصالح القدوة زاهد وقته أبو محمد عدي بن صخر الشامي" [٢٢]، وربما وهم الشيخ الذهبي أيضا، إذ أن الشيخ عدي ابن صخر هو ابن أخ الشيخ عدي بن مسافر كما مر.

الفصل الثاني: مولده ووفاته وحياته وعصره:

أولا: مولده ووفاته وعصره:

تشير كثير من الكتب المؤرخة لحياته أنه عاش تسعين سنة [٢٣]، إلا أن هذا ليس إجماعا؛ فقد ذكر ابن كثير أن عديا عاش سبعين سنة [٢٤]. وذكر الذهبي أن عديا عاش ثمانين سنة [٢٥].

وأما وفاته فقد تراوح القول فيها أنها كانت ما بين ٥٥٥هـ و٥٥٨هـ ولكن أغلب المؤرخين ذهبوا إلى أنها كانت سنة ٥٥٧هـ، وإلى هذا ذهب ابن خلكان، والذهبي، وابن تغري بردى، وابن الأثير، وسعيد الديوه جي، وزهير كاظم عبود. يجمع ذلك كله قول الدكتور سامي الأحمد "ويكاد يتفق المؤرخون على أنه توفي سنة ٥٥٧ هـ" [٢٦].

وإذا كانت وفاته على التغليب سنة ٥٥٧هـ، وعز تسعين سنة على التغليب، فإن ولادته تكون على الأغلب سنة ٤٦٧هـ.

وقد شهد الوطن العربي في القرنين الخامس والسادس الهجريين أحداثا عصيبة، إذ عانى العرب والمسلمون من ويلات الحروب التي تمثلت في الغزو الصليبي القادم من الغرب، وتبعه الغزو المغولي القادم من الشرق، في وقت كان الوطن العربي يعيش حالة من التمزق السياسي والعقائدي، وكان الحكام مشغولين بنزواتهم وملذاتهم وبعيدين كل البعد عن مصالح شعوبهم، وكانت الدويلات الطائفية همها الوحيد هو التآمر على بعضها البعض.

ويمكن تقسيم العصر الذي عاش فيه الشيخ إلى مرحلين:

- الأولى وهي مرحلة ضعف وتمزق من مطلع القرن الخامس حتى سنة ٥٢١هـ: حيث وجدت الفتن والحروب على عدة وجوه، فالوجه الأول من الحروب هو ما كان يعانيه المسلمون من حروب الفرنجة مثل حرب الفرنج والمسلمين في الأندلس سنة ٥٢٠هـ وغيرها، والوجه الثاني هو الحروب التي كانت تحدث بين الزعماء العرب أنفسهم مثل الحروب التي كانت تجري بين السلطان بركياروق والسلطان محمد بن ملكشاه، أما الوجه الثالث وهو الفنن المذهبية مثل الفتن بين الشيعة والسنة والتي انتهت بالصلح سنة ٥٠٢هـ ببغداد.

وكانت فرقة الباطنية التي قادها "الحسن بن الصباح" قد نشطت في مؤامراتها، واستطاعت القضاء على عدد كبير من قادة المسلمين، إلى أن استطاع القائد السلجوقي "محمد بن ملكشاه" أن يحاصر مركز هذه الفرقة، ويجبر أعضاءها على الاستسلام، وقتل منهم أعدادا كثير.

- والثانية مرحلة القوة وتوحيد القوى الإسلامية في مهاجمة الصليبيين وتبدأ من ٥٢٢هـ إلى ٥٨٩هـ، وكانت تحت حكم عماد الدين زنكي وما جرى على يديه من فتوحات كملكه الموصل والجزيرة حتى وصل إلى مدينة حلب سنة ٥٢٢هـ، وما كان بعدها من ملكه لحماه في السنة التي تليها، وهزيمته للفرنجة وفتحه حصن الأثارب، وسيره إلى بغداد سنة ٥٢٦هـ ...، ثم نور الدين محمود الذي فتح عدة مواضع من بلاد الفرنجة، وحصن العريمة، واستيلائه على سنجار سنة ٥٤٤هـ، وملكه لمدينة دمشق في سنة ٥٤٩هـ ..، وأخيرا صلاح الدين الأيوبي [٢٧].

أما بغداد فقد عانت من الويلات والحروب، والفتن الدينية والطائفية، مما جعلها تعاني من عدم الاستقرار والأمن. كما لوحظ في هذين القرنين انتشار المدارس الصوفية، وتعدد فرقها. وتراجع الفكر الصوفي الفلسفي أمام الفكر الصوفي السني.

ثانيا: حياته:

في حياته حسب ما تورد كتب المؤرخين والباحثين نوع من الطرافة هي أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة، فتشير الروايات إلى أن والده كان رجلا صالحا زاهدا في الدنيا، سلك طريق المجاهدة، وفارق أهله أربعين عاما [٢٨]، وقد رأى وهو في متنسكه رؤيا مفادها أن مناديا ناداه أن اذهب إلى بيتك، واتصل بزوجك، يرزقك الله تعالى ذكرا يكون وليا صالحا، ينتشر ذكره بين الناس، فعاد إلى أهله، وأتى داره ليلا، وطرق الباب على زوجته، فسألت زوجته عن الطارق من يكون، فأخبرها أنه زوجها وسبب عودته، وكانت زوجته امرأة عاقلة تقية حكيمة، خشيت من كلام الناس إذا عاد زوجها إلى قريته دون أن يروه، فطلبت منه أن يعلم أهل البلد بعودته، فصعد كرما (بستانا) ونادي في أهل البلد يعلمهم بعودته، وحملت امرأته منه بعد ذلك [٢٩].

ولد الشيخ في قرية بيت فار في لبنان، ويبدو أن والده توفي وهو صغير فتولت أمه تربيته، فتعلم القرآن والفقه ومبادئ العلوم في صغره في قريته، ولما كبر انجذب إلى العلماء والفقهاء، ثم حبب إليه الخلاء فانقطع إلى الله سبحانه وتعالى، وساح في الأرض "فكان في أول أمره في الجبال والصحارى مجردا، يأخذ نفسه بأنواع المجاهدات مدة سنين " [٣٠].

ويلزم على هذا الكلام أن الشيخ، انقطع للعبادة كما مر، وكان يدعى "عدي الأعزب"، وربما كان لما سمعه عن والده من تقوى وصلاح وحب للاعتزال والسياحة في الأرض أثر فيه ضرورة تأثر الولد بوالده: "وقد غلبت علميه روح الزهد والتقشف، فقد سلك طريق الإرشاد فعكس تربية والده الشيخ الزاهد الجليل" [٣١].

وإذا كانت هذه هي السمة الغالبة عليه والظاهرة في حياته، فمن المؤكد أنه خالط كثيرا ممن ينتسبون إلى التصوف فنتلمذ على أيديهم، كما تتلمذ على يديه كثير منهم بعد أن جاب الآفاق وتنقل في المدن والقرى، وجاور في المدينة المنورة عدة سنوات [٣٢]، انتقل بعدها إلى بغداد ثم إلى الجبال الواقعة شرقي الموصل، إلى أن استقر به المقام في "قرية

لالش" في جبال الهكارية، حيث بنا له فيها زاوية وانقطع للعبادة، وذاع صيته واشتهر بين الناس، فاجتمعوا عليه وأطاعوه وأحسنوا به الظن، وبقي فيها إلى أن مات سنة ٥٥٧هـ، ودفن في زاويته.

وقد تساءل كثير من الباحثين لم اختار قرية لالش مقاما له رغم وجود أماكن كثيرة يمكن أن تكون مقاما له؟ وتعددت إجاباتهم عن هذا السؤال باحتمالات كثيرة منها: "أنه لما بلغ مبلغ الرجال رأى في ليلة قائلا يقول له: يا عدي: قم إلى لالش فهو مقامك ويحيي الله على يديك قلوبا ميتة" (٣٣).

ومنها أنه لجأ إلى تلك المنطقة لقداستها؛ إذ أن وادي لالش مقدس عند البريديين قبل مجيء الشيخ إليه، فالإله قد سكن فيه "ثم أرسل الشيخ عدي بن مسافر من أرض الشام وأتى إلى لالش" (٣٤)، ومنها: في أختياره لوادي لالش لم يكن لذات لالش، بل جاء عفويا،" إذ أن الشيخ كان من عادته التجوال في المدن والقرى والبراري... وعندما وصل إلى المنطقة التي يوجد فيها اليزيديون اليوم (منطقة الشيخان) وجد أهلها غارقين في بحر الجهل والبعد عن الله والخوض في المتاهات وغير ذلك، فعندما رآهم على هذه الحال رق قلبه لهم فقرر البقاء بين ظهرانيهم، والعمل على إرشادهم، ونشر العلم ومعرفة الحلال والحرام والعقيلة الصحيحة بينهم" (٣٥)، ومنها: أنه بعد سقوط الدولة الأموية هاجر بعض الأمويين ومواليهم الأكراد إلى هذه المنطقة، واختفوا فيها خوفا من بطش العباسيين، وجاء الشيخ إلى هذه المنطقة فوجد أهلها في جهل كبير بالإسلام، وأن بعضهم يعتنق المجوسية، فرأى أن من واجبه الديني أن يقيم فيها ليعلم الناس أمور دينهم (٣٦).

ورغم تفرغه للعبادة، فقد كان يعتمد في معاشه على نفسه، فلم يكن ممن يتكلون على غيرهم بل كل يزرع أرضا له بالحبوب ويحصدها بنفسه ويدخرها لمعيشته، كما كان يزرع القطن بما يكفي لحياكة ثيابه وثياب أتباعه، يقول الذهبي: "... وما بلغنا انه باع شيئا ولا اشترى، ولا تلبس شيئا من أمر الدنيا، كانت له غليلة يزرعها بالقدوم في الجبل، ويحصدها ويتقوت، وكان يزرع القطن ويكتسي منه، ولا يأكل من مال أحد شيئا" (٣٧).

الفصل الثالث: شيوخه وتلاميذه:

شيوخه:

يذكر ابن خلكان أن الشيخ صحب جماعة كثيرة من أعيان المشايخ والصلحاء المشاهير مثل: عقيد المنبجي، وحماد الدباس، وعبد القاهر السهروردي، وعبد القادر الجبلي، وأبي الوفاء الحلواني (٣٨)، ويشير الباحث سعيد الديوه جي إلى أن الشيخ اجتمع بالشيخ عبد القادر الجيلاني وغيره، وان للشيخ عقيد المنبجي وشيخه مسلمة بن نعمة السروجي تأثيرا عميقا في نفسه، ولهما منزلة سامية في قلبه، إذ لبس الخرقة (٣٩) من الشيخ عقيل، وهذا بدوره لبسها من الشيخ مسلمة، وهكذا تسلسل لبس الخرقة إلى عمر بن الخطاب الذي لبسها من الرسول صلى الله عليه وسلم الذي لبسها من جبريل عليه السلام الذي نزل بها من عند الله سبحانه وتعالى (٤٠)، وهذه مبالغة كبيرة لم يدعها الشيخ لنفسه، ولا أقرها أكابر علماء المسلمين ممن لهم اطلاع واسع في علوم الكتاب والسنة، يقول الشيخ ابن تيمية معلقا على هذه الفرية: "قلت: لبس عمر للخرقة وإلباسه، ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلباسه، يعرف كل من له أدنى معرفة أنه كذب. وأما الإسناد المذكور ما بين أبي سعيد إلى عمر فمجهول، وما أعرف لهؤلاء ذكرا لا في كتب الزهد والرقائق، ولا في كتب الحديث والعلم " (٤١).

وقد ذكر ابن تيمية أن عقيدة الشيخ عدي هي نفس عقيدة من تقدمه من المشايخ الذين سلكوا طريق الحق إذ يقول: "وعقيدته المحفوظة عنه لم يخرج فيها عن عقيدة من تقدمه من المشايخ الذين سلك سبيلهم كالشيخ الإمام الصالح أبي الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الأنصاري الشيرازي، ثم الدمشقي وكشيخ الإسلام الهكاري ونحوهما، وهؤلاء المشايخ لم يخرجوا في الأصول الكبار عن أصول أهل السنة والجماعة" (٤٢).

تلاميذه:

يذكر أغلب من أرخ للشيخ انه تتلمذ على يديه خلق كثيرون أن ينكروا واحدا منهم بالاسم، فيقول ابن تغري بردي: "وتلمذ له خلق كثير من الأولياء، وتخرج بصحبته غير واحد من ذوي الأحوال" (٤٣)، إلا إننا ونحن نقرأ سيرته وسير شيوخ الطائفة اليزيدية نرى غير ذلك؛ وقد أثرنا فيما مضى إلى أن الشيخ أوصى لابن أخيه بخلافته فقال "أبو البركات يخلفني"، ويقول الباحث زهير كاظم عبود "... وكان الشيخ أبو البركات تلميذا أمينا وزاهدا ورعا وتقيا محبا للصلاح ومنصرفا إلى عبادة الله" (٤٤)، كما يشير إلى أن للشيخ مؤلفات في السلوك منها وصاياه لأحد مريديه يسمى "قائد" (٤٥)، وهناك نصوص للشيخ ينصح فيها تلاميذه دون الإشارة إلى أسمائهم، وله رسالة في العقيدة أملاها على بعض تلاميذه. ومن الغريب أنه رغم شهرته التي يشير إليها المؤرخون والباحثون، وأنها طبقت الآفاق، فإنهم لم يذكروا له تلاميذ بالاسم، وإنما بالعموم، مع أن أقل منه شهرة كان لهم تلاميذ نشروا فكرهم ومذهبهم.

الفصل الرابع: علمه ومؤلفاته:

وصف الشيخ بأنه فقيه عالم عابد فصيح متواضع حسن الأخلاق (٤٦)، وأنه" كان من المبرزين في علم الشريعة والفقه والكلام والحديث ويعد من طراز الشيخ ابن تيمية في عصره" (٤٧)، وأن المعروف عن الشيخ عدي بن مسافر ذكاؤه وتبحره في أمور الفقه والشرائع والأديان، وكان زاهدا متصوفا عابدا، وقد أجمعت كل الكتابات على ذلك" (٤٨).

وكان يعلم أتباعه ويبصرهم بأمور دينهم، وكان شافعي المذهب الفقهي، أما في المعتقد فيكفي أن نشير إلى أن ابن تيمية مدحه بقوله: "وعقيدته المحفوظة عنه لم يخرج فيها عن عقيدة من عقيده من المشائخ الذين سلك سبيلهم" (٤٩)، مما يجعلنا نجزم أنه لم يخرج عن معتقد أهل السنة.

وقد أشار جملة من الباحثين أن لعدي مؤلفات كثيرة كما مر، لكنهم اختلفوا في نسبة بعضها إليه، فمما نسبه إليه أهل السنة رسالة "اعتقاد أهل الستة والجماعة" ضمن فيها الشيخ معتقده الموافق لمعتقد أهل السنة والجماعة كما يبدو من عنوانها، ومجموعة وصايا كتبها لمريده الشيخ قائد ولسائر مريديه، ورسالة في آداب النفس، ورسالة في وصاياه للخليفة (٥٠).

أما ما نسبه إليه غير أهل السنة من كتب فمنها: كتاب "الجلوة" و"مصحف رش"، غير أن البحث الدقيق يشير إلى غير ذلك، فإن هذين الكتابين "لا يعودان لأكثر من قرن أو قرن ونصف كما تدل على ذلك لغتهما الركيكة وتراكيبهما المفككة، ويظهران لبعض اليهود المستترين بالإسلام والطريقة العدوية (٥١) بدأ بتأليف هذين الكتابين" (٥٢)، وأن الذي ألف كتاب "الجلوة" هو الشيخ حسن بن عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر الذي اختلى بنفسه فألف هذا الكتاب مودعا فيه عقيدته التي يظهر فيها مخالفته عقائد الإسلام، حيث ظهر فيه بجلاء مفهوما الحلول وتناسخ الأرواح" (٥٣).

والذي يصل إليه الباحث في هذين الكتابين يرى أنهما موضوعان بلغة ركيكة حقا، لا تتناسب صياغتهما مع ما عرف عن الشيخ من بلاغة وفصاحة وقوة منطق.

وقد اتفق كل من بحث في عقيدة اليزيدية- من غير الطائفة- على أن هذين الكتابين مختلف في مؤلفيهما (٥٤).

ويبرز من خلال البحث في هذين الكتابين أنهما موضوعان (٥٥)، وأن واضعيهما قد يكونان من غير الطائفة اليزيدية، فضلا عن أنهما لم يؤلفا من قبل شخصن واحد ولا في زمان واحد.

الفصل الخامس: طائفة اليزيدية:

لما تكرر كثيرا أو سيتكرر ورود كلمة اليزيدية في هذا البحث، أردت أن أعرفا بها تعريفا موجزا من حيث النسبة، والنشأة، والجنس، والمعتقد، ذلك أن الاتفاق على رأي واحد أو أراء متقاربة في هذه الموضوعات يكاد يكون مستحيلا لأسباب كثيرة، منها أن هذه الطائفة فرضت على نفسها عزلة (٥٦) يصعب معها معرفة نسبها، ونشأتها، ومعتقداتها، وما يتعلق بها من معلومات، بالإضافة إلى عدم وجود كتب موثوقة تخصها، وعدم تمكن أغلب الكتاب والمؤرخين من معايشتها (٥٧)، وجهل كثير من أتباعها سبب تسميتها, لكن بعض الباحثين المحدثين ممن عاشوا بين هذه الطائفة، أو التقوا بهم وعرفوا عنهم الكثير من أحوالهم قدموا لنا صورة واضحة عنها.

وإذا عدنا إلى ما أرخه علماء السنة عن هذه الطائفة نجد اختلافا واسعا بين آرائهم وبين آراء المحدثين من الباحثين؛ فنجد عبد القاهر البغدادي وابن حزم والإسفراييني و الشهرستاني قد نسبوا هذه الطائفة إلى يزيد بن أنيسه، أحد رجال الإباضية من الخوارج، الذي زعم أن الله سيبعث رسولا (٥٨) من العجم، وينزل عليه كتابا جملة واحدة، ويترك شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، ويكون على ملة الصابئة المذكورة في القرآن. وقد وافقهم في هذا الرأي من المحدثين الشيخ محمد أبو زهرة (٥٩)، والدكتور عبد الله سلوم السامرائي (٦٠)، بل إن هناك ثمة إجماعا من المصادر السنية على أن اليزيدية ترجع إلى الإباضية من الخوارج وأنهم أتباع يزيد بن أنيسة (٦١).

لكن المؤرخ أحصد تيمور باشا يرى أن لا علاقة بين يزيدية اليوم و اليزيدية المنسوبة إلى يزيد بن أنيسة، وأن أتباع ابن أنيسة قد بادوا وبادت أراؤهم معهم (٦٢)، ووافقه في هذا الباحثان صديق الدملوجي وعبد الرزاق محمد أسود (٦٣).

وهناك رأي آخر يرجح أن تسميتهم تعود إلى الخليفة الأموي يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ورجح هذا الرأي الباحث آزاد سعيد سمو، وأيده بعدة أدلة بعد أن أبطل الأقوال الواردة في سبب هذه التسمية، إذ يقول: "بعدما ذكرت الآراء المرجوحة لدي، وقمت بالرد عليها، أن لي أن أذكر الرأي الراجح، ومن ثم ذكر الأدلة على صحته، لذلك فالرأي الراجح عندي هو نسبة اليزيدية إلى الخليفة يزيد بن معاوية الأموي، فلقد تضافرت الأدلة النقلية الكافية والقطعية لدي على صحة هذا الرأي، وموافقته للواقع الذي عليه هؤلاء القوم" (٦٤).

وكما قلت في بداية هذا المبحث فإن الآراء مختلفة في سبب التسمية، ولكل رأي ما يؤيده. أما المنتسبون إلى هذه الطائفة فيرون رأيا آخر بعيدا كل البعد عن الآراء السابقة، إذ يربطون أنفسهم بالشعوب الآرية نسبة وجنسا وعقيدة؛ فيشير الكاذب اليزيدي المعاصر "درويش حسو" إلى أن أصل الكلمة مشتق من نسبة الأكراد إلى عقيدة الشعوب الآرية "الزرادشتية" التي انتقلت إلى منطقة اليزد، وهي منطقة شرقي إيران يؤمن سكانها بالإله الواحد، ويطلقون على أنفسهم الإزداهيين، أي شعوب الله وأتباعه المباشرون، ومنذ ذلك الوقت يسنون بعقيدة اليزدانية أو الإزداهية، ومن خلال التطورات الدينية الناتجة عن ظهور اليهودية والمسيحية والإسلام، انقسم هؤلاء قسمين؛ الإيرانيين والكرد، فبقي قسم منهم على الديانة الزرادشية وهم الإيرانيون، وأما الكرب الموجودون في منطقة كردستان فهم يحملون اسم اليزدانيين أو الإزداهيين، ولما تولى يزيد بن معاوية الخلافة طلب منهم العون في قتل الحسين بن علي مقابل إعطائهم الحرية الدينية فقدموا له المساعدة، واستطاع أن يهزمه بمساعدتهم، ومنذ ذلك الوقت سمي الإزاداهيون باللغة العربية اليزيديين، أي أتباع يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٦٥). على أننا نجد من الباحثين من يشير إلى أن اليزيديين أنفسهم لا يعرفون سبب تسميتهم بهذا الاسم (٦٦).

وإزاء هذه الاختلافات في سبب السمية عدها بعض الباحثين أحد عشر سببا (٦٧)، فإننا لا نستطيع الجزم بسبب هذه التسمية، وان كنت أميل إلى أن جذور هذه الطائفة قديمة بسبب كثرة الديانات المتعددة التي سادت العراق، التي ربما أثرت في هذه الطائفة، ويبدو تأثيرها واضحا من خلال طقوس اليزيدية الاعتقادية والتعبدية، وطقوس الحياة التي تخلو من مظاهر الإسلام، بل تشير إلى معتقدات لم سابقة كالزرادشتية والمجوسية واليهودية وغيرها من الديانات.

وقد أشرت فيما مضى إلى أن الديانة اليزيدية تستقي عقيدتها من كتابها المقدس "مصحف رش" ومن كتاب الجلوة، كما يؤكد أغلب الباحثين اليزيديين وغيرهم أن عقيدة اليزيدية مستمدة من الديانة الزردشتية "بل أن عاداتهم وعباداتهم وطقوسهم مستمدة من الديانة الزردشتية" (٦٨).

وتقوم ديانة اليزيديين على الإيمان بالله وتقديسه وعبادته، ولكن مغالاتهم في شيوخهم وتقديسهم لهم أوصلهم إلى اعتبار كل واحد منهم إلها قائما بذاته، وبيده شأن من شؤون الكون (٦٩).

ويعتقدون أن الله خالق الكون، وأنه خلق سبعة آلهة أولهم عزازيل (طاووس ملك) الذي هو رئيس الآلهة، وهذا بدوره خلق سبعة آلهة تعاقبوا على إدارة العالم بإشراف عزازيل، وأن العالم اليوم بقبضته وله سلطة مطلقة عليه، وهو المقرب من الله فلا يرد له طلبا (٧٠).

وعزازيل هذا هو الشيطان الذي رفض أن يسجد لآدم، وقد فعل ذلك لأنه لا يريد أن يشرك بالله –على حد قولهم– فكافأه الله بأن جعله طاووسا للملائكة، فله مكانة كبيرة عند الطائفة وهو مختص بهم فقط، ووصل تقديسهم له إلى درجة أن الحلف به يعد من أغلظ الأيمان عندهم، كما يؤمن اليزيديون بالأنبياء والرسل عموما، وأنهم مرسلون من الله سبحانه، ولا فرق بينهم، غير أنهم لا يعتقدون أن رسولا بعينه قد رسل إليه (٧١) ولكن لإبراهيم عليه السلام مكانة كبيرة عندهم، فهم يرون أنهم أولى الناس به، وهم الوحيدون السائرون على نهجه في التوحيد فيتناقلون قصته مع أبيه ومع النمرود، وقصة اهتدائه إلى الوحدانية عن طريق النظر في النجوم، ويؤمنون بجميع الكتب السماوية، ولكن للقران الكريم عقدهم منزلة خاصة؛ فيحفتظون به في بيوتهم ويقرأونه ويعلمونه لأبنائهم، ولكنهم يتجنبون الآيات التي تتعارض مع معتقداتهم مثل كلمة شيطان، التعوذ، اللعنة، وإبليس، كما أن لبعض السور والآيات القرآنية تقديسا خاصا كسورة ياسين، والفتحة، والإخلاص، وآية الكرسي (٧٢).

ويعتقد هؤلاء أن اليهود قتلوا عيسى عليه السلام، ثم أحياه طاووس ملك بعد أن استغاث به (٧٣) ويقرون بالبعث واليوم الآخر، ولكنهم يقولون بموت الجسد، أما الروح فلا تموت، بل تخرج من جسد إلى جسد آخر، ويتوقف ذلك على أعماله (٧٤). وهذا إقرار منهم بمبدأ تناسخ الأرواح، أي انتقال الروح من جسد إلى آخر بحسب الطاعات أو المعاصي.

كما يقرون بان الإنسان يحاسب على إعماله يوم القيامة، ويجازى عليها، وأن نجاة الروح تتوقف على حسناتها وسيئاتها. ويؤمنون بالشفاعة والصراط الذي هو القنطرة للعبور إلى العالم الآخر، فإنا إلى جنة أو إلى نار.

كما يؤمنون بالملائكة وأنهم مخلوقون من نور، وقد شاركوا الله في خلق هذا الكون فلكل ملك وظيفة خاصة به، وأما رئيسهم فهو عزازيل " طاووس الملائكة " الموكل بإدارة الكون. ويعتقد اليزيديون في الملائكة بائهم لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يموتون، والمشهور عندهم سبعة ملائكة هم: عزازيل، دردائيل، إسرافيل، ميكائيل، جبرائيل، شمنائيل، نورائيل (٧٥).

أما عبادتهم فيبدو فيها الثائر بشعائر الإسلام، حيث لم تزل ظاهرة في طقوسهم الدينية، مع تحريفهم لها وتغييرهم لكثير منها، وينطقون بالشهادتين كالمسلمين ويزيدون ذكر اسم احد شيوخهم بعد ذكر اسم محمد صلى الله عليه وسلم، غير أن بعض الباحثين يقول بأن لا أثر للشهادتين اليوم في عبادتهم (٧٦) وقد استعاضوا عن الصلاة المعروفة بأدعية باللغة الكردية وضعها لهم شيوخهم، وأوهموهم أن الشيخ عديا قد تحمل عنهم صلاتهم التي يصليها المسلمون. وأما الزكاة فلا نسبة معينة يدفعها اليزيدي، بل عليه أن يقدم جزءا من محصوله لرجال الدين ليتفرغوا للعبادة.

وأما الحج فهو واجب عليهم ولو مرة واحدة، فمن لم يحج فهو كافر في نظرهم، وكانوا يحجون معا في وقت واحد، إلا أن رؤساءهم سمحوا بأداء الحج في أي وقت يشاؤون، وذلك بسبب الازدحام وعدم سعة وادي لالش (٧٧) الذي هو بمثابة جبل عرفات عند المسلمين، حيث مرقد الشيخ عدي المقدس، فيصعد الحجاج إليه يوم التروية، ويطوف رؤساؤهم حول قبر الشيخ ويصعد أحد شيوخهم إلى أعلاه حاملا طبقا فيه خبز رقيق ويتهافت الحجاج على قطعه، ومن أخذ قطعة يسرع إلى عين زمزم "عين ماء موجودة داخل كهفا شمال قبر الشيخ عدي" ليشرب من مائها، وفي اليوم التالي يضحون الأضاحي، ويسمون ذلك اليوم عيد الأضحية.

وأما الصوم فيعتقد اليزيديون أن الشيخ عديا قد تحمله عنهم كالصلاة، وقد ورد في مصحفهم "رش" "أما الصوم والصلاة فإن الله لا يشأ بهما، لكن يريد الخير وفعل الصدقة" (٧٨).

ويرى بعض الباحثين أن الصوم عند اليزيدية للخاصة والعامة، أما العامة فصيامهم ثلاثة أيام (الثلاثاء والأربعاء والخميس) التي نكون في أول شهر كانون الأول، ويكون الصيام عن الأكل والشرب والدخان من طلوع الفجر إلى وقتا الغروب.

وأما صوم الخاصة فلرؤسائهم الروحانيين فقط، إذ يصومون أربعين يوما في الصيف تبدأ من العشرين من تموز، وأربعين يوما في الشتاء تبدأ من العشرين من شهر كانون الثاني (٨٠).

هذا باختصارها يتعلق بعقائد اليزيدية وشرائعهم، وقد ترتب عليها كثير من المباحات والمحرمات والعادات المقبولة والمرذولة لا أجد داعيا لذكرها حيث ليست مجال البحث.

المبحث الثاني: موقف الفرق من الشيخ عدي:

الفصل الأول: موقف أهل السنة:

بعد الرجوع إلى ما تيسر هن معلومات عن الشيخ عند أهل السنة، لم أجد إلا شذرات لا تكاد تكفي لإعطاء معلومات كافية عنه، ولكن مع قلة هذه المعلومات نجد أنها نشير إلى أن الشيخ كان عالما فقيها صالحا ورعا، فابن الأثير يصفه بأنه "الزاهد" (٨١)، ويصفه ابن خلكان بأنه "العبد الصالح المشهور" (٨٢)، ويصفه ابن تيمية بقوله "كان من أفاضل عباد الله الصالحين، وأكابر المشايخ المتبعين" (٨٣)، ويؤكد ابن تغري بردى هذه الصفات فيقول: "وكان فقيها عالما عابدا فصيحا متواضعا حسن الأخلاق مع كثرة الهيبة والوقار، وهو أحد كبار مشايخ الطريقة وأحد العلماء الأعلام فيها" (٨٤).

وبسبب هذه الصفات التي تشهد له بالصلاح والتقوى تبعه خلق كثير، إلا أن بعض أتباعه غالوا فيه غلوا كبيرا بحيث جاوز اعتقادهم فيه الحد فجعله إلها أو شريكا لله.

وإذ شهد له علماء السنة بالصلاح فلم يوصلوه إلى مرحلة القداسة، أو نسبوا له غير ما يمكن أن يظهر على أمثاله من الصالحين من كرامات لا مبالغة فيها، فنرى ابن تيمية يشير إلى أن الرجل له من الأحوال الزكية والمناقب العلية ما يعرفه أهل المعرفة بذلك (٨٥)، فهو يصفه وصف رجل صالح أكرمه الله بأحوال وصفات دون أن يحددها أو يذكر شيئا منها، لكن الذهبي ذكر بعض ما كان يجري مع الشيخ من أحوال وكرامات، وما اشتهر عنه من رياضة ومجاهدات، وأدى ذلك إلى أن جعله أتباعه قبلتهم التي يصلون إليها وذخيرتهم في الآخرة (٨٦).

ونلحظ أن هؤلاء لم يوردوا نصا واحدا للشيخ سوى ما ذكروه عنه أنه على عقيدة سليمة خالية من الشوائب، تلك العقيدة التي لم يخرج فيها عن عقيدة أهل السنة والجماعة (٨٥).

كما لاحظت أن مؤرخي علماء الأشاعرة والماتريدية ممن عاصروه أو جاءوا بعده لم يوردوه في كتبهم أو يشيروا إليه في كلامهم، مع أن كتابه "اعتقاد أهل السنة والجماعة" يتفق في غالبيته مع معتقداتهم.

والنظر في هذا الكتاب يجعلني أجزم أن الشيخ نحى في معقده منحى أهل السنة عموما، لون تحيز لقسم منهم، فابن تيمية يثني عليه ويصفه بأنه كان على عقيدة أهل السنة والجماعة "... وهؤلاء المشايخ لم يخرجوا في الأصول الكبار عن أصول أهل السنة والجماعة" (٨٨).

والمحدثون من الباحثين المنصفين فلم يخرجوا الشيخ عن دائرة الصلاح والورع والتقى، فهو "بارز في علم الشريعة والفقه والكلام والحديث، ويعد من طراز ابن تيمية في عصره، وهو شديد الوطأة، كثير المؤاخذة على المخالفين للسنة والشريعة" (٨٩)، بل يذكر السيد الحسني إجماع المؤرخين وأصحاب كتب السير على صلاح الشيخ عدي، وعلى ورعه وتقواه (٩٠).

الفصل الثاني: موقف المتصوفة:

من المشهور عن الشيخ عدي أنه استوطن لالش، وبني له فيها زاوية (٩١) كان يخلو فيها بنفسه ويكثر من المجاهدات حتى كثر مريدوه، وسار ذكره في الآفاق، وقصده الناس بالزيارة من سائر الأمصار، ووصف بأنه من شيوخ المتصوفة، وأنه أسس الطريقة الصوفية المنسوبة إليه "الطريقة العدوية" (٩٢).

ومع أنه اشتهر بهذا الوصف، إلا أن الغريب في الأمر أنه لم يذكر كثيرا في معجمات مؤرخي الصوفية والتصوف قديمهم ومحدثهم، فلم نجد له ذكرا في الموسوعات الصوفية سوى ما ذكره الشعراني في الطبقات الكبرى، والتادفي الحنبلي في قلائد الجواهر، والنبهاني في جامع كرامات الأولياء، واظب ما ذكر في هذه الكتب واحد في فحواه ومعناه وربما في ألفاظه. أما الشعراني فلم يكثر من ذكر أحواله وكراماته، وأغلب ما نقله عنه بعض أقواله في المجاهدات وتربية المريدين وبعض قواعد التوحيد، ومما نقله عنه قوله في التوحيد: "لا يخلو أخذك وتركك أن يكونا بالله عز وجل أو له، فإن كانا به فهو مباديك بالعطاء، وإن كانا له فاسترزقه بأمره واحذر ما فيه الخلق، فإنك متى كنت معهم استعبدوك، ومتى كنت مع الله حفظك، ومتى كنت مع فضل الله كفلك، وإذا كنت مع الأسباب فاطلب رزقك من الأرض فإنك لم تعط من السماء، وإذا كنت مع التوكل فإن طلبت بهمتك لن يعطيك، وإن أزلت همتك أعطاك" (٩٣).

وينقل عنه قوله في تربية المريدين: "لا تنتفع بشيخك إلا إن كان اعتقادك فيه فوق كل اعتقاد، وهناك يجلك في حضوره، ويحفظك في مغيبه، ويهذبك بأخلاقه، ويؤدبك بإطراقه، وينور باطنك بإشراقه، وإن كان اعتقادك فيه ضعيفا لا تشهد فيه شيئا من ذلك، بل تنعكس ظلمة باطنك عليك، فتشهد صفاته هي صفاتك فلا تنتفع به أبدا، ولو كان أعلى الأولياء درجة" (٩٤).

وينبه الشيخ عدي على عدم الاغترار بمن يدعون الولاية، فيقول رابطا الكرامة بالشرع: "إذا رأيتم الرجل تظهر له الكرامات وتنخرق له العادات، فلا تغتروا به حتى تنظروه عند الأمر والنهي" (٩٥)، وينقل عنه بعض مبادئ العلم والتفقه: "من اكتفى بالكلام في العلم دون الاتصاف بحقيقته انقطع، ومن اكتفى بالتعبد دون فقه خرج، ومن اكتفى بالفقه دون ورع اغتر، ومن قام بما يجب عليه من الأحكام نجا" (٩٦).

أما في العقيدة فينقل عنه قوله في الذات الإلهية "لا تجري ماهيته في مقال، ولا تخطر كيفيته ببال، جل عن الأمثال والأشكال، صفاته قديمة كذاته، ليس بجسم في صفاته، جل أن يشبه بمبتدعاته، أو يضاف إلى مخترعاته، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا سمي له في أرضه وسماواته، لا عديل له في حكمه وإرادته، حرام على العقول أن تمثل الله عز وجل، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الظنون أن تقطع، وعلى الضمائر أن تعمق، وعلى النفوس أن تفكر، وعلى الفكر أن يحيط، وعلى العقول أن تتصور إلا ما وصف به ذاته في كتابه أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم" (٩٧)، والمتأمل في هذا الكلام يجد العمق والبلاغة والدقة في التعبير، كما يجد أن الشيخ عديا لم يخرج إطلاقا عن عقيدة أهل السنة والجماعة.

أما بالنسبة لبعض أحوال الشيخ وما يحدث له من كرامات، فقد لا يمتنع ذلك بناء على جواز حصول الكرامات عقلا ونقلا، إلا أن تعظيمه إلى حد يجعل الاعتقاد فيه فوق كل اعتقاد أمر مبالغ فيه يوصل إلى الكفر إن أخذناه بظاهرة، وأعتقد أن الشيخ في النصوص المنسوبة إليه لا يقصد اعتقاد الضر والنفع لغير الله، ولا كذلك اعتقاد العبودية لغير الله، فإن مجمل اعتقاده في الله سبحانه وتعالى وكذلك تفصيل الاعتقاد على ما سيأتي ينفي عنه ما يتوهم من تقديس المريد لشيخه وجعله في المقام الأعلى في الطاعة له والتذلل والاعتقاد.

أما كتابا قلائد الجواهر وجامع كرامات الأولياء، ففيهما من المبالغات في ألشيخ ما يخرج عن طور الكرامات إلى طور المعجزات، فقد أورد مؤلفاهما قصصا كثيرة تشير إلى كثير من الكرامات التي حصلت للشيخ، وهذه الكرامات لا تحصل إلا من نبي مؤيد بالمعجزات أو من الله ابتداء، مما تجعل الولي في مقام الألوهية أو مقام النبوة؛ من أحياء للموتى أو شفاء للمرضى أو غير ذلك من خوارق العادات) (٩٨).

وتشير هذه الأحداث الكثيرة المروية عنه إلى أنه قد أوتي حظا وافرا من الكرامات بفضل المجاهدات إلى حد أنه وصل إلى درجة السلطة على الأولياء، لكن المعتدلين من المؤرخين أشاروا إلى أن أتباعه قد جاوزوا الحد فيه، وربما تكون هذه الكرامات المروية من هذا النوع. على أنه ينبغي أن لا ننكر الكرامة ولا الولاية، إذ هما ثابتان بالكتاب والسنة، وإنما للكرامة حدود يعرفها أولياء الله فلا يتعدونها، ولا تصبح لهم عادة في حياتهم اليومية، فالكرامة "يجب على الولي إخفاؤها إلا عند الضرورة، أو إذن، أو حال غالب لا يكون له فيه اختيار، أو قوية يقين مريد" (٩٩)، كما أن كثيرا من مجيزي الكرامة يجيزونها بشرط أن تجري من غير إيثار أو اختيار منه، ومنهم من منعوا وقوعها على قضية الدعوى (١٠٠).

وبالعودة إلى ما كتبه هؤلاء في الشيخ عدي، نرى أنهم توسعوا محي كراماته فجاوزوا الحد فيها وفيه، ولا نستغرب إذا أن يوصله من افتتنوا به إلى مقام الألوهية أو مقام قريب من ذلك، إلى حد جعل ابن تيمية يرسل لهم رسالة مطولة يذكرهم فيها بأن الشيخ رجل صالح، ويحذرهم من الغلو فيه فيقول "وكذلك الغلو في بعض المشايخ، إما في الشيخ عدي ويونس الغني أو الحلاج وخبرهم بل الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونحوه، بل الغلو في المسيح عليه السلام ونحوه، فكل من غلا في حي، أو في رجل صالح، كثمل علي رضي الله عنه، أو عدي، أو نحوه، أو في من يعتقد فيه الصلاح، كالحلاج، أو الحاكم الذي كان بمصر، أو يونس القني، ونحوهم، وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول: كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده، أو يقول إذا ذبح شاة: باسم سيدي... أو نحو هذه الأقوال والأفعال التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل" (١٠١).

أما الاعتدال في وصفه فيقل فيه بأنه "كان من أجل مشايخ بلاد المشرق وأكبرهم قدرا وأعلاهم مرتبة، وهو أحد أركان هذه الطريقة وأعلام العلماء بها رضي الله عنه، وقد نال المجاهدة في حال البداية طورا صعب المرتقي، عزيز المنال، تعذر على كثير من المشايخ سلوكه" (١٠٢)، كما شهد له الشيخ عبد القادر الجيلاني بالسلطنة وقال فيه "لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدي" (١٠٣).

الفصل الثالث: موقف اليزيدية:

إذا بلغ الشيخ عدي عند أهل السنة منزلة رفيعة قوامها الصلاح والمناقب العلية، وجرت على يديه عظائم الكرامات عند الصوفية، فإن اليزيدية بالغت في تقديسه مبالغة كبيرة وصلت حد تأليهه وأن له مقاما كمقام الألوهية، حيث يشير ابن كثير إلى ذلك بقوله: "واعتقده أهل تلك الناحية اعتقادا بليغا، حتى أن منهم من يغلو غلوا كثيرا منكرا، ومنهم من يجعله إلها أو شريكا، وهذا اعتقاد فاحش يؤدي إلى الخروج من الدين جملة" (١٠٤).

وقد أشار الباحث سعيد الديوه جي إلى أن تأليه الشيخ عدي بدأ في الظهور عند بعض اليزيدية منذ القرن الثامن للهجرة، ولم يكن عند عامتهم (١٠٥) وترتب على هذه المغالاة أمور كثيرة وقصص خيالية لا يمكن تصنيفها إلا في أبواب الشرك والكفر الصريح، يذكر الكاتب محمود تيمور بعضها فيقول: "اعلم أنهم متفقون على أباطيل من اعتقادهم وعقائد وأقاويل كلها مما يوجب الكفر والضلال، منها أنهم ينكرون القرآن والشرع ويزعمون انه كذب... ومنها أنهم يفضلون الشيخ عديا على الرسول عليه الصلاة والسلام بمراتب، بل يقولون إنه لا مناسبة بينهما،... ومنها أنهم يحكون حكايات في شأن الله تعالى ورسوله والشيخ عدي تشتمل على تذلل الله تعالى ورسوله بين يديه، وعلى تحقير شأنهما والاستهزاء بهما، وتضجره من ترددهما إليه، واستغنائه عن صحبتهما وملاقاتهما" (١٠٦).

وأشار العديد من الكتاب والمؤرخين إلى أن اليزيديين يعتقدون أن الشيخ عديا قد أسقط عنهم الفرائض، وأنه يقوم بها نيابة عنهم، وسيدخلهم الجنة بلا حساب ولا عتاب على ما قصروا فيه من الصلاة والصيام (١٠٧)، كما يزعم البعض أن الشيخ سيحمل طبقا فوق رأسه يحمل به الأمة اليزيدية ويدخلها الجنة بغير حسابا (١٠٨).

وقد أورد كثير ممن أرخوا لهذه الطائفة أبياتا كثيرة من الشعر تنسبها الطائفة إلى الشيخ، وكلها تشير إلى انه إله، وأنه يعرف كل شيء، وأن كل ما في الكون ساجد تحت قدمه، والخلائق جميعها رهن أمره، ومن هذه الأبيات:

علمي أحاط حقيقة الأشياء
وحقيقتي قد مازجت أبائي
وجميع من في الكون تحت مشيئتي
مذ صار في البأساء والضراء
وأنا الذي سجد الرجال لعزتي
وأتوا إلي وقبلوا قدمائي
وأنا الذي قد صرت فردا واحدا
وأنا بذاتي مظهر الأشياء

ولا نريد أن نناقش هذه الأبيات، فإن من أوردوها ناقشوها بأسلوب علمي دقيق، ووجدوا أنها لا تتناسب مع قوة الشيخ اللغوية والنحوية والبلاغية والعروضية، وبراعته في صياغة جمله التي تعبر عن أفكاره، وقد أوردنا بعضا منها عند حديثنا عن موقف الصوفية منه، وسنورد بعضا من جمله وأفكاره من كتابه "اعتقاد أهل السنة والجماعة" لنجد الفرق شاسعا بين هذه الأبيات الركيكة، المليئة بالأخطاء اللغوية والنحوية، وعدم استقامة الوزن الشعري فيها، بالإضافة إلى ما فيها من كفر صريح يتنافى مع عقيدته التي باشرها بنفسه وأملاها على بعض تلاميذه.

ويبدو من خلال استقراء ما كتب عن الشيخ أن أتباعه ومريديه كانوا في بادئ أمرهم ينظرون إليه على أنه عالم ورع تقي زاهد، وأدت هذه النظرة إلى إعجابهم به وإتباعهم له وطاعته، ثم بعد موته وبمرور الزمن وفشو تقديس الأولياء ووضعهم في مكانة عالية والغلو فيهم، ظهر الغلو في الشيخ وعلى الأخص في القرن الثامن الهجري، إلى درجة اعتقادهم فيه أشياء باطلة، أوصلته إلى أن يكون إلها أو شريكا لله، أو حالا فيه، أو متحدا به، واعتقاد حدوث خوارق عادات على يديه لم يبلغها الأنبياء من قبل (١٠٩).

بالإضافة إلى ذلك كله، نرى أن اسم الشيخ ظهر في كتابهم المقدس " مصحف رش" وأن الله أرسله من أرض الشام، فهو مقدس لذلك، بل كل متعلقاته مقدسة، فزيارة قبره تغني عن الحج إلى مكة المكرمة، والذهاب إلى لالش يغني عن الوقوف بعرفة، والعين التي تنبع من جبل لالش وتجري في رباط الشيخ هي عين زمزم، وتراب قبر الشيخ مقدس، وعلى كل يزيدي أن يتزود منه وقت الحج، ويحمله معه للاستشفاء به، ويوضع في فمه إذا مات ويدفن معه في قبره (١١٠).

المبحث الثالث: عقيدة الشيخ عدي بن مسافر:

بعد أن بان لنا ثلاثة آراء متباينة في الشيخ، لا بد من الرجوع إلى ما ثبت عنه من أقول لنتبين حقيقة معتقده. وقد أثبت الباحثون رسالة للشيخ بعنوان "اعتقاد أهل السنة والجماعة" (١١١) تتضمن مجمل اعتقاده وتفصيله نبينها كما يأتي:

الفصل الأول: في الإلهيات:

نرى من مقدمة كتابه عقيدته الواضحة في الذات الإلهية، إذ يقول: "الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لا يغيره الأمد، ليس له والد ولا ولد، لا تجري ماهيته في مقال، ولا تخطر كيفيته ببال، جل عن الأنداد والأضداد والأمثال والأشكال" (١١٢).

وإذ أوحت المقدمة بمعتقده في الله إجمالا، فإنه بعد ذلك يفصل فيه، فيقول بعد بيان طريقة العلم بالله، وأنها كما تكون بطريق السمع تكون بطريق العقل أيضا (١١٣). "فالله موجود، قديم أول بنفسه، لم يوجده أحد، ولم يوجد نفسه، باق أبدا، ليس لأزليته ابتداء ولا لآخريته انتهاء. وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض" (١١٤)، "وأنه ليس في جهة من الجهات، وأنه ليس مستقرا على مكان، وأنه مرئي بالقلوب والأبصار، ولا تحويه الأقطار، ولا تدركه الأبصار، ولا تحيط به الجهات، وأنه واحد فرد صمد، لا ثاني معه، ولا شيء مثله، وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده، استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والمقدار، لا يحمله العرش، بل العرش، وحملة العرش، واللوح، والكرسي، والسماوات والأرض، وما بينهما، وما فيهما، وما فيهما، وما وراءهما، وجميع المخلوقين والمخلوقات، محمولون بقدرة اله تعالى، ومقهورون في قبضة الله، وموجودون بحكمة الله، وهو فوق العرش، وفوق كل شيء على معنى العزة والعظمة" (١١٥).

ويستمر الشيخ في تفصيل معتقده في الذات الإلهية بما ينزهها عن الشبيه والمثل، وبما يبعدها عن التجسيم والتعطيل والتمثيل والحمل على الظاهر (١١٦). فنجده يفرق بين الصفات العقلية والصفات الخبرية؛ إذ أثبت الصفات العقلية على منهج الأشاعرة، وأثبت الصفات الخبرية على منهج السلف، ولكن قد نجد عنده بعض التأويل كما مر في معنى الفوقية، وهذا قليل جدا في عقيدته إذ يرفض التأويل فيقول؛ "ونؤمن بما ورد في الكتاب والسنة ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم أن الله عز وجل لا يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبهه شيء منها" (١١٧)، وما ألجا أهل الحق إلى التأويل إلا ظهور البدع وانتشار التشبيه والتعطيل (١١٨).

وقد أثبت الصفات العقلية على منهج الأشاعرة، وأن من صدق بها واعتقدها فهو من المؤمنين، فقال: "واتصافه بصفات الألوهية كالقدرة الشاملة للمقدورات، والمشيئة النافذة في المرادات، والعلم المحيط بالمعلومات، وتقدسه عن مشابهة المخلوقين وسمات المحدثين، لا نهاية له في ذاته على معنى نفي الجهات والحيثية، ولا يتناهى في وجوده على معنى نفي الأولية، لا جسم مصور، ولا جوهر مقدر، معلوم الوجود بالعقول والأفهام، لكن لا تتصوره الأفكار ولا تمثله الأفهام، وأنه حي عليم بنفسه وبجميع خلقه، قدير على ما يشاء لا يمتنع عليه شيء، مريد لما يشاء لا مكره له، سميع لنفسه ولجميع خلقه، بصير لنفسه ولجميع عباده، لا يحجب سمعه بعد، ولا يدفع رؤيته ظلام، متكلم أمر ناه، زاجر موعد متوعد، وأنه كامل الإدراك بكل شيء من الطعوم والروائح ولجميع المدركات على ما يليق به سبحانه وتعالى، محيط بما يجري من تحت تخوم الأرضين إلى أعلى السماوات، لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر، وأنه منزه عن حلول الحوادث به وطريانها عليه، وأنه قديم الصفات، فهذه الأسماء والصفات المتقدمة لا بد من اعتقادها والإقرار بها، وذلك الوجود، والقدم، والبقاء، والوحدانية، والحياة، والعلم، والقدرة والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وجميع ما وصف به نفسه راجع إلى هذه الصفات من التنزيه والتقديس والإجلال والتعظيم وإلى سائر أسمائه وصفاته ما علم منها وما لم يعلم" (١١٩).

وقد أقام الدليل العقلي على وجود الله من خلال ما رآه من إحكام صنعة الإنسان وبديع تركيبه، وأنه حادث كالحادثات التي يعلم بالعقل أن لها صانعا صنعها ومحدثا أبدعها، وضرب لذلك مثلا من الشاهد أنه ما من كتابة إلا ولها كاتب، وما من بناء إلا وله بان، فدل ذلك على أن كل موجود له موجد لاستحالة إيجاد الشيء لنفسه وامتناع سبق وجوده لوجوده "فيعلم بالضرورة أن محدثه غيره وهو الله تعالى، لأن الحي العاقل لا يقدر على إحداث تصوير إنسان من ماء، ولا إخراج فاكهة من عود، فالحي غير العاقل أعجز من ذلك، وما ليس له حياة ولا عقل اعجز وأعجز" (١٢٠).

كما استدل بإخبار الأنبياء على وجود الله تعالى، ذلك أنهم دعوا الخلق إلى الإيمان به، وظهرت المعجزات المؤيدة لهم على ما يدعون مما يدل على صدقهم، فوجب الإيمان بالله الذي دعوا إليه والتصديق بما أخبروا به عنه (١٢١).

وتحدث في موضوع القدر، وأن الإيمان به من أعظم شعب الإيمان "لأن من التوحيد إضافة الأفعال كلها إلى الله تعالى، وأنها صادرة عن قدرته لا شريك له فيها، فمن أضافها أو شيئا منها إلى غيره فقد أشرك به وكذب بالقرآن (١٢٢)، وهنا نراه يهاجم القدرية مستعينا بما ورد من أحاديث (١٢٣) تلحقهم بالمجوس فيقول: "ولذلك كانت القدرية مجوس هذه الأمة يقولون لا قدر، من مات منهم فلا تشهدوا جنائزهم، ومن مرض منهم فلا تعودوهم، وهم شابهوا المجوس في قولهم للشر خالق وللخير خالق" (١٢٤)، وهو بهذا القول يتطابق في الفكرة والمعنى مع ما أورده الأشعري في الإبانة، كما وافقه في قوله بالكسب، وأن الأعمال كسب للخلق لا خلقا لهم، ودلل على ذلك بأنهم لا يحيطون بتفاصيل ما يصدر عنهم من حركات مكتسبة ولا بأعدادها، وإنما ذلك كله للخالق، وأن القدرة والاستطاعة التي يتم بها اكتساب الأفعال إنما تنسب إلى الإنسان مجازا، والله هو فاعلها على الحقيقة، من غير مجاز ولا مباشرة ومزاولة، فالله خالق القدرة وخالق المقدور الذي تقع عليه القدرة (١٢٥) والكل خلق الله، والله لا يفعل إلا باختياره فهو غير مكره ولا مجبر، وقد خلق جميع ما أراد وهو خالق الخير كما هو خالق الشر، فلو كان الشر بغير إرادته لكان عاجزا، والعاجز لا يكون إلها (١٢٦)، وهو بهذا يقيم الدليل العقلي على إثبات القدر وأن اله خالق الخير والشر على السواء. كما قرر أن الضلالة والهدى بإرادة الله سبحانه (١٢٧).

وتحدث الشيخ عن بعض ما يترتب على فكرة الكسب وهي مسألة التكليف بما لا يطاق موافقا ما ذهب إليه الأشاعرة من قولهم بجواز التكليف بما لا يطاق، فقال: "ويجوز أن يكف عباده بما لا يطيقونه خلافا لقول المعتزلة، وهذا مشاهد ومعلوم بالسمع، فإن الله يقول في كتابه () (١٢٨) فإنهم لم يسألوه محالا، ولو كان تكليف ما لا يطاق محالا لكانت الآية لغوا، وذلك مشاهد أيضا، لأن الرسل خاطبت الكفار بالإيمان وهم لا يطيقونه، وقد خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل وغيره من الكفار بالإيمان، وقد أعلمه الله بأنهم لا يؤمنون فقال: () (١٢٩)، وقد أمره الله تعالى بالإنذار والتبليغ والدعوة للكل إلى الإيمان فهذا تكليف مالا يطاق" (١٣٠).

وتطرق الشيخ إلى حقيقة الإيمان، وأنه قول وعمل ونية، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، واستدل على ذلك بالنقل والعقل (١٣١). وهو في هذه الجزئية يتفق مع الأشاعرة الذين يرون أن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان، وأنه لا يزيد ولا ينقص.

كما تحدث عن القرآن الكريم من حيث هو كلام الله فقال: "إنه –القرآن– كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مقروء بالألسنة، محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف، غير حال في مصحف، ولا قائم بقلب، ولا مرئي ببصر، ولا يشبه كلام الخلق، ولا يشبهه كلام الخلق" (١٣٢).

وترتب على حديثه عن القرآن الكريم الحديث عن صفة الكلام لله تعالى، فقد أثبتها على ما ذهب إليه جمهور أهل السنة من أن الله متكلم "بكلام واحد أزلي قائم بذاته، ليس من جنس الحروف والأصوات، غير متحيز، مناف للسكوت، وهو به آمر ناه مخبر" (١٣٣).

أما العبارات فهي حادثة ومخلوقه لأنها أصوات، والأصوات أعراض وهي حادثة، وسميت كلام الله لدلالتها عليه، فإن عبر عنها بالعربية فهي قرآن، وإن عبر بالعبرية فهي توراة، فالاختلاف في العبارات لا في الكلام، والشيخ هنا يعود ليأخذ برأي الأشاعرة في هذه المسالة، وفي الوقت نفسه يرد على المعتزلة الذين قالوا بأن الله متكلم بكلام قائم بغيره وليس صفة له، إذ الكلام عندهم حادث، خارج عن الذات الإلهية، يحدثه الله في محل وقت الحاجة إلى الكلام فيسمع من المحل (١٣٤).

كما يخالف الحنابلة القائلين بأن "مذهب أهل السنة والجماعة القول بأن القرآن كلام الله، ووحيه وتنزيله، وأمره ونهيه، غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر بالله العظيم، وأن القرآن في صدورنا محفوظ، بألسنتنا مقروء، في مصاحفنا مكتوب، وهو الكلام الذي تكلم الله عز وجل به، ومن قال: إن القرآن بلفظي مخلوق، أو لفظي به مخلوق فهو جاهل، ضال، كافر بالله العظيم" (١٣٥).

كما أثبت رؤية المؤمنين لله بأبصارهم بعد دخولهم الجنة، من غير إحاطة ولا إدراك، وأن ذلك جائز عقلا واجب سمعا.

وتنتفي بهذه الرؤية عوارض الرؤية الدنيوية من المكان والجهة، وأسباب الرؤية من اتصال شعاع أو وجود مسافة بين الرائي والمرئي، وغير ذلك من أمارات الحدوث (١٣٦)، وهو هنا يتفق أيضا مع أهل السنة والجماعة في إثبات الرؤية، ولكنه يثبتها من غير إحاطة ولا إدراك، بينما يرى بعض الأشاعرة أنها إدراك وراء العلم لا يقتضي تأثيرا في المدرك ولا تأثيرا عنه، ويرى البعض الآخر ومنهم الأشعري نفسه أنها علم مخصوص (١٣٧).

ونزه الشيخ الله سبحانه عن الضرر، والحظوظ، والأعراض، وأنه متفضل بالخلق والإيجاب وتكليف العباد، وهو بذلك حر مختار، يتصرف في ملكه كما يشاء، فله سبحانه إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق أو ثواب لاحق (١٣٨)، وهو هنا أيضا يخالف المعتزلة فيما ذهبوا إليه في مبدأ العدل من أن الله يجب عليه فعل الأصلح للعباد، وإلا يفعل ذلك يكون ظالما، وهو سبحانه منزه عن الظلم ولا يجور على عباده.

الفصل الثاني: الغيبيات:

نقصد بالغيبيات هنا كل ما لا سبيل إلى الإيعاز به إلا عن طريق الخبر اليقيني (١٣٩) مما سيقع بعد هذه الحياة الدنيا، ويشمل عالم البرزخ، والبعث، وأحوال اليوم الآخر.

أما عالم البرزخ فهو العالم ما بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، يؤكده الشيخ بقوله بعد الموت حق والبعث بعد الموت حق، وسؤال الملكين للميت في القبر حق، وإن السؤال يكون للجسد والروح معا، وضغطة القبر حق ونعيم القبر أو عذابه حق (١٤٠)، دون أن يفصل في هذه الحقائق.

ويؤمن الشيخ بأن البعث حق، والحساب حق، والميزان حق، والشفاعة حق، والصراط حق، والحوض حق، والجنة والنار استحقاقان للمطيع وللعاصي والكافر.

ويفصل في بعض هذه القضايا فيصف الميزان بأن له كفتين إحداهما من نور، والأخرى من ظلمة وهي للسيئات، وهو لوزن أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه نجا من النار، ومن خفت موازينه هوى فيها (١٤١).

وكلام الشيخ عن صفة الميزان مما لم يرد في كتاب أو سنة صحيحة، والحديث عن الغيبيات توقيفي، لا يخضع للأوهام أو خيالات العقول.

وأما الشفاعة فهي لأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم "إن لكل نبي دعوة مستجابة، وإني ادخرت دعوتي لأهل الكبائر من أمتي" (١٤٢)، ويؤمن بالصراط كما ورد في الأحاديث، وأنه جسر ممدود على متن جهنم يجوزه الخلق كلهم كل على قدر أعماله من الحسنات أو السيئات، وعليه كلاليب، وشوك كشوك السعدان (١٤٣)، وهو أدق من الشعر، وأحد من السيف، وأحر من الجمر، طوله ثلاثمائة سنة من سني الآخر (١٤٤).

والحوض حق، وهو حوض رسول اله صلي الله عليه وسلم الذي وصفه بقوله: "حوضي طوله وعرضه مثل ما بين عدن وعمان، مسيرة شهر، حافتاه خيام الدر المجوف، آنيته عدد نجوم السماء، طينه مسك أذفر، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا حتى يدخل الجنة" (١٤٥).

والجنة والنار حق، وهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء (١٤٦)، فهو يؤمن إنهما مخلوقتان، وكذلك يؤمن بأنهما لاتفنيان، ويشير إلى الخلود فيهما عندما يورد حديث ذبح الموت بأن يؤتى بالموت على صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار، ويقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت (١٤٧).

أما أهل الكبائر فلا يخلدون في النار، وتجوز الصلاة عليهم، ويترك أمرهم إلى الله سبحانه وتعالى، أما الخالدون في النار فهم أهل الكفر والضلال والجحود والتكذيب (١٤٨) ولا يجوز الحكم على أحد من أهل القبلة بجنة أو نار، مطيعا كان أم عاصيا إلا إذا ظهر منه بدعة أو ضلالة (١٤٩).

الفصل الثالث: الإمامة والصحابة

لم يحدد الشيخ هوية الإمام، ولا نسبته، وإنما يشير إلى وجوب السمع والطاعة له، ولن كان عبدا حبشيا، وينسب هذا الرأي لأهل السنة قائلا: "وأهل السنة اجمعوا على السمع لأئمة المسلمين وإتباعهم، والصلاة خلف كل بروفاجر، العادل منهم والجائر، من ولوه ونصبوه واستنابوه ما كان من البدعة بريئا" (١٥٠)، فإن عصى أو غوي وعتى أو ضل أو ابتدع فلا سمع ولا طاعة له، ولا يصلى خلفه (١٥١).

ويبدو أن رأي الشيخ في الإمام مخالف لرأي أهل السنة والجماعة الذين يقولون بالإمامة وأنها لا تكون إلا في قريش، ولرأي الشيعة الذين يقولون إنها لا تكون إلا في آل البيت. وهو هنا موافق لرأي الخوارج والمعتزلة في نظرتهم للإمامة "وخالفت الخوارج وأكثر المعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم (أطيعوا ولو أمر عليكم عبد حبشي أجدع) (١٥٢)" (١٥٣).

ولا أستطيع الجزم هنا بأن هذا هو مراد الشيخ، فإن عموم مذهبه فيما بدا لي لا يخرج عن معتقد عموم أهل السنة والجماعة.

ويتحدث الشيخ عن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وأنه سار في معتقده على ما كانوا عليه فيقول: "... فهذا اعتقادنا والذي نقلناه عن السلف وعن أئمة الدين، وعن مشايخنا رضي الله عنهم أجمعين. وإن اعتقادنا هذا نقله جبريل عليه السلام عن الله تعالى، ونقله النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام، ونقلته الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم نقله التابعون عن الصحابة أجمعين خلف بعد خلف، وسلف بعد سلف إلى يوم القيامة " (١٥٤).

وهذه الدعوى التي ادعاها الشيخ في معتقد الصحابة رضوان الله عليهم غير مسلمة له؛ فلم يقل الصحابة رضوان الله عليهم بأن القرآن كلام واحد أزلي قائم بذات الله، ليس من جنس الحروف والأصوات، وغير متحيز، مناف للسكوت، وهو آمر به وناه ومخبر، وأنه المعنى القائم في النفس، وهو معنى واحد إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة...، ولم يقولوا بالكسب كذلك، ولا بالتكليف بما لا يطاق،... وغير ذلك من الآراء والأقوال التي ظهرت في مراحل متأخرة مما لم يتطرق له الصحابة، ولم يعرفوه قطعا، ولو نسب إليهم القول بمبادئ التوحيد والعقيلة التي علمها الرسول صلى الله عليه وسلم لصحابته، لكان ذلك أدعى إلى قبول قوله، والتصديق بأنه سار على نهجهم، وسلك سبيلهم، واقتدى بهم، وكان الأولى أن يقف في دعواه إلى مشايخه فقط.

ويرى أن هؤلاء السادة من صحابة وتابعين وتابعيهم وتابعي تابعيهم إلى أن تقوم الساعة هم أئمة الدين الذين تمنى أن يتوفاه الله على مذهبهم واعتقادهم، وأن من خالفهم ورغب عن سنتهم فقد خالف الله ورسوله، وهو مبتدع لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا [١٥٥].

ويشير إلى أن خير الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ويستشهد لذلك بحديث "خير الناس بعدي أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي [١٥٦] وليس للقرابة دور في التفضيل، إذ لو كان لها دور لكان حمزة والعباس أولى بالتفضيل من العشرة المبشرين بالجنة.

وقد حرص على التنبيه على الكف عما شجر بين الصحابة رضوان الله عليهم، وبين ما شجر بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان على الخصوص، وأن الله قد غفر لهما بسابقتهما مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنهما كانا إمامين مجتهدين وإن كان علي هو المصيب [١٥٧]، فكان قتالهم باجتهاد لطلب الحق لا لحظوظ الأنفس، وقتلاهما جميعا في الجنة.

وقد خص معاوية بن أبي سفيان ببعض المدح فهو خال المؤمنين، ورديف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمين الله على وحيه، وقد شهد له الرسول بالجنة، ومات وهو راض عنه [١٥٨].

هذا هو فهم الشيخ للعقدة، ونظرته للصحابة رضوان الله عليهم، وما حدث بين علي ومعاوية لا يخرجهما ولا أصحابهما من الدين، بل هو اجتهاد في الحق، والاجتهاد في الحق مسموح به ما لم يخرج ببدعة أو ضلال.

الخاتمة

بعد هذه الجولة في حياة الشيخ عدي بن مسافر وعقيدته من خلال مؤلفه اعتقاد أهل السنة والجماعة تجلت لنا بوضوح عدة أمور مهمة جدا هي:

- أولا: أن الشيخ عديا رجل عالم فاضل رفيع القدر والمنزلة، سار على خطى علماء أهل السنة في العلم والاعتقاد، لا كما ينعي الغلاة من متبعيه والمتحيزين إليه.
- ثانيا: لم تخرج عقيدة الشيخ عن عقيدة أهل السنة، وعلى الأخص عقيدة الأشاعرة التي خالفوا فيها آراء المعتزلة، وقد بدت مخالفة الشيخ للفكر الاعتزالي في معظم آرائه.
- ثالثا: ليس للشيخ عدي علاقة نسبية بطائفة اليزيدية عند التحقيق، وإنما هو عربي أموي شامي، من مواليد بيت فار في لبنان، وقد انتقل منها متجولا في الأرض، حيث انتهى به التجوال إلى منطقة لالش حيث الجهل بالدين، وبقي فيها مربيا ومعلما ومتفرغا لعبادة الله.
- رابعا: ما نسبته طائفة اليزيدية للشيخ عدي أو اعتقدته فيه مبالغ فيه كثيرا، والشيخ منه بريء، إذ لم يظهر ذلك في كتاباته وتوجيهاته لمريديه، كما أن المبالغة في إظهار الكرامات على يديه مما ينسبه إليه أتباعه ويبدو أنه أمر عادي بالنسبة له ليس مما يقركما نسبا.
- خامسا: ما نسب إلى الشيخ من أقوال يقينية هو ما ثبت نسبته إليه في كتابه اعتقاد أهل السنة والجماعة فقط، أما بعض ما نسب إليه من أقوال وأشعار مخالفة لمبدئه المعلن في كتابه فهو غير مسلم به ولا له.
- سادسا: لم يظهر في معتقد الشيخ تحيزه الواضح لبني أمية، وأن حاول أن يظهر قيمة معاوية ابن أبي سفيان، وإنما كان واضحا في تقديره للخلفاء الراشدين ثم بقية المبشرين بالجنة ثم بقية الصحابة والتابعين وتابعيهم وتابعي تابعيهم إلى أن قوم الساعة. وبرر ما حصل بين علي بن أبي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وأنه اجتهاد في حق وهو مقبول شرعا مع أن الحق فيه كان لعلي ومن معه، ولذا لا يجوز تكفيرهما أو تكفير من قاتل معهما، وكل من قتل منهم فهو في الجنة.
- سابعا: لوحظ أن معظم الأحاديث الواردة في كتابه اعتقاد أهل السنة والجماعة لا وجود لها بنصها في كتب الصحاح والسنن وكتب الحديث الأخرى، وأن كانت قريبة منها في اللفظ والمعنى.
- ثامنا: اختلفت آراء الباحثين في طائفة اليزيدية في العلاقة بين الشيخ عدي وبين الطائفة اختلافا بتنا، إلى حد أن الباحث لا يستطيع أن يتيقن من وجود علاقة حقيقية بين الشيخ والطائفة.

- تاسعا: لوحظ أن ما كتب عن الشيخ بالنسبة إلى شهرته واتساع دائرة معارفه قليل جدا، وهذا أمر يثير العجب والتساؤل، حيث لم أجد في كثير من كتب علماء الكلام والتصوف ذكرا له أو لحياته أو لمؤلفه، وكذلك علماء السلف سوى ما ذكره الإمامان ابن تيمية والذهبي، أما المؤرخون فلم يكتبوا عنه سوى شذرات قليلة، وإلمامات وجيزة لا تفي بغرض الكتابة عنه بطريقة علمية موثقة.٣
- عاشرا: تفرد الشيخ عن بقية علماء الكلام بذكر سند عقيدته في كتابه اعتقاد أهل السنة والجماعة وأنها ابتدأت من الرسول صلى الله عليه وسلم حتى انتهت إليه. وهذا غير مسلم له على الوجه الذي ذكره.
- حادي عشر: لوحظ أن الكتاب خلا من ركن مهم من أركان الإيمان هو موضوع "النبوة "؛ إذ لم يورد الشيخ في هذا الموضوع سوى فقرة واحدة في سياق الإيمان بالله؛ ذلك أنه جعل الاستدلال بأخبار الأنبياء، وظهور المعجزات على أيديهم مما يدل على صدقهم الذي يوجب الإيمان بالله، وبما أخبروا به عنه.

انتهى البحث بعون الله وتوفيقه

الهوامش

(١) أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء الثاني عشر، الطبعة الخامسة، صفحة ٢٤٣.
(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، الجزء الثالث، ص٢٥٤.
(٣) الشعراني، عبد الوهاب، ت ٩٧٣هـ، الطبقات الكبرى، الجزء الأول، صفحة ١١٨.
(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المجلد الثالث، صفحة ٣٧٧.
(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، الجزء العشرون، صفحة ٣٤٢.
(٦) الأحمد، اليزيدية أحوالهم ومعتقداتهم، الجزء الأول، صفحة ١١٨، وعبود، لمحات عن اليزيدية، صفحة ٣٤.
(٧) وفيات الأعيان، جزء ٣، صفحة ٢٥٤.
(٨) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، الجزء الحادي عشر، صفحة ١٠٣.
(٩) الجراد، اليزيدية واليزيديون، صفحة ٢٩.
(١٠) الذهبي، سير أعلام النبلاء، الجزء ٢٠، صفحة ٣٤.
(١١) الجراد، اليزيدية واليزيديون، صفحه ٢٨.
(١٢) أنظر مثلا لذلك: الشعراني، الطبقات الكبرى، جزء أول، صفحة ١١٨، وابن تغري بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الخامس، صفحة ٣٦١، والزركلي، الأعلام، الجزء الرابع، الطبعة الساسة عشرة، صفحة ٢٢١، وسو آزاد سعيد، اليزيدية من خلال نصوصها ابتدئ، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، صفحة ٤٥، والديوه جي، سعيد، اليزيدية، الطبعة الأولى، صفحة ٢٥.
(١٣) عبود، الإيزيدية حقائق وخفايا وأساطير، الطبعة الأولى، صفحة ٣٨.
(١٤) ابن مسافر، إعقاب أهل السنة والجماعة، صفحة ٤٥.
(١٥) انظر: اليزيدية واليزيديون، صفحة ٥٢، ولالش قرية من أعمال شرقي الموصل، انظر: الحموي، معجم البلدان، المجلد الخامس، صفحة ٢٨.
(١٦) بلدة وناحية وقرى فوق الموصل، في بلد جزيرة ابن عمر، يسكنها أكراد يقال لهم الهكارية. انظر: معجم البلدان، المجلد الخامس، صفحة ٤٠٨.
(١٧) النجوم الزاهرة، الجزء الخامس، صفحة ٣٦١، وانظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الجزء التاسع، صفحة ٨٠.
(١٨) وفيات الأعيان، الجزء الثالث، صفحة ٢٥٤، وانظر: التادفي، قلائد الجواهر، صفحة ٨٥.
(١٩) وردت عدة أسماء للقرية التي ولد فيها الشيخ عدي منها ببث قار وبيت نار وبيت فار، والذي عليه أغلب المؤرخين بيت فار.
(٢٠) مجموع الفتاوى، الجزء الثالث، صفحة ٣٦٣.
(٢١) الحسني، اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، الطبعة الحادية عشرة، صفحة ٢٧.
(٢٢) سير أعلام النبلاء، الجزء العشرون، صفحة ٣٤٢.
(٢٣) انظر: وفيات الأعيان، الجزء الثالث، صفحة ٢٥٥، واليزيدية أحوالهم ومعتقداتهم، صفحة ١١٩، ولمحات عن اليزيدية، صفحة ٤٨.
(٢٤) انظر: البداية والنهاية، الجزء الثاني عشر، صفحة ٢٤٣.
(٢٥) انظر: سير أعلام النبلاء، الجزء العشرون، صفحة ٣٤٣.
(٢٦) اليزيدية أحوالهم ومعتقداتهم، صفحة ١١٩.
(٢٧) انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١٠، من صفحة ٢٢٩ وما بعدها.
(٢٨) وهناك أقوال تشير إلى أنه فارق أهله ثلاثين عاما. انظر في القولين: مقدمة كتاب اعتقاد أهل السنة والجماعة، صفحة ٣، واليزيدية لسعيد الديوه جي، صفحة ٥٢، واليزيدية أحوالهم ومعتقداتهم، صفحة ١١٩، ولمحات عن اليزيدية، صفحة ٣٨.

(٢٩) انظر: السخاوي، تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات، صفحة ٣٠٠.

(٣٠) النجوم الزاهرة، الجزء الخامس، صفحة ٣٦٢، وأنظر: اليزيدية، صفحة ٥٠.

(٣١) لمحات عن اليزيدية، صفحة ٣٥.

(٣٢) انظر: الأعلام، الجزء الخامس، صفحة ١١.

(٣٣) التادفي، قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر، صفحة ٨٩.

(٣٤) مصحف رش "المصحف الأسود" نص رقم ١٢ ورقم ١.

(٣٥) اليزيدية من خلال نصوصها المقدسة، صفحة ٤٨.

(٣٦) لمحات عن اليزيدية، صفحة ٣٨.

(٣٧) سير أعلام النبلاء، الجزء العشرون، صفحة ٣٤٢.

(٣٨) وفيات الأعيان، الجزء الثالث، صفحة ٢٥٤، وانظر كذلك: البداية والنهاية، الجزء الثاني عشر، صفحة ٢٤٣.

(٣٩) الخرقة هي عبارة عن ارتباط بين الشيخ والمريد، وتحكيم من المريد للشيخ من نفسه، وفيها معنى المبايعة. انظر: النوبي، معجم الصوفية، الطبعة الأولى، صفحة ٥٢.

(٤٠) انظر، اليزيدية، صفحة ٥٤ و٦٠، ٦١.

(٤١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١١ -١٠٤.

(٤٢) ابن تيمية، مجموع الرسائل الكبرى، الجزء الأول، صفحة ٢٨٠.

(٤٣) النجوم الزاهرة، الجزء الخامس، صفحة ٣٦٢.

(٤٤) لمحات عن اليزيدية، صفحة ٥٠.

(٤٥) المرجع السابق، صفحة ٤٠.

(٤٦) النجوم الزاهرة، الجزء الخامس، صفحة ٣٦١.

(٤٧) الفيل، اليزيدية، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، صفحة ٣٨.

(٤٨) اليزيدية حقائق وخفايا وأساطير، صفحة ٣٧.

(٤٩) فتاوى ابن تيمية، الجزء الثالث، صفحة ٣٧٧.

(٥٠) انظر: اليزيدية أحوالهم ومعتقداتهم، صفحة ١٢٣- ١٢٤، واعتقاد أهل السنة والجماعة، صفحة ٨، ولمحات عن اليزيدية، صفحة ٤٠.

(٥١) وهي طريقة في التصوف ابتداء من إتباع عدي بن مسافر في جبل هكار، وهم الذين طبقوا طريقته وانظروا في المواد والجبل، وغالوا في اعتقادهم فيه وإتباعه، وقد وصلت درجة غلوهم بأن اعتبروا زيارة تربته أفضل من الحج وزيارة القدس، واعتقادهم فيه زيغ. فقد اعقدوا بأن عدي بن مسافر قد تحمل صومهم وصلاتهم وسيذهب بهم إلى الجنة دون عذاب أو عقاب، وبعد وفاة عدي اتخذوا قبره قبلة لهم. ولأحدهم رسالة سماها: (بهجة سلطان الأولياء والعارفين) في الخرقة النبوية وفضائل الشيخ عدي.

(٥٢) اليزيدية واليزيديون، صفحة ٤٠.

(٥٣) كتاب الجلوة، الفصل الثاني.

(٥٤) انظر مثلا لذلك: اليزيدية أحوالهم ومعتقداتهم، صفحة ١٧٣ وما بعدها، واليزيدية واليزيديون، صفحة ٣٧ وما بعدها.

(٥٥) أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، المجلد الثالث، الطبعة الأولى، صفحة ٢٨٥.

(٥٦) انظرك الفيل، اليزيدية، الجزء الثاني، صفحة ١٠.

(٥٧) انظر: لمحات عن اليزيدية، صفحة ٨.

(٥٨) انظر: البغدادي، الملل والنحل، الطبعة الثانية، صفحة ٧٨، وابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، المجلد الرابع، الطبعة الثانية، صفحة ١٨٨، والإسفراييني، شاهفور بن طاهر التبصير في الدين، الطبعة الأولى، صفحة ٨٣، والشهرستاني، الملل والنحل، الجزء الأول، الطبعة الأولى، صفحة ٢١٥.

(٥٩) انظر: أبو زهره، تاريخ المذاهب الإسلامية، الجزء الأول، صفحة ٧٩.

(٦٠) انظر: السامرائي، الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، الطبعة الثالثة، صفحة ١١٨.

(٦١) انظر: اليزيدية، الجزء الثاني، صفحة ١١.

(٦٢) انظر: تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، المطبعة السلفية، صفحة ٢٨.

(٦٣) انظر الفيل اليزيدية، الجزء الثاني، صفحة ١١، والمدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، المجلد الثالث، صفحة ٢٦٣.

(٦٤) اليزيدية من خلال نصوصها المقدسة، صفحة ٣٣.

(٦٥) انظر: اليزيدية واليزيديون، صفحة ١٦- ١٧.

(٦٦) انظر: الأمين، دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة، الطبعة الثانية، صفحة ٢٦٥.

(٦٧) انظر: المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، المجلد الثالث، صفحة ٢٦٣.

(٦٨) انظر: اليزيدية واليزيديون، صفحة ٧٠.

(٦٩) انظر:اليزيدية من خلال نصوصها المقدسة.

(٧٠) انظر: اليزيدية (سعيد الديوه جي) صفحة ١٢٢.

(٧١) انظر: اليزيدية من خلال نصوصها المقدسة، صفحة ٩٠.

(٧٢) انظر: المرجع السابق، صفحة ٨٨.

(٧٣) انظر: المرجع السابق، صفحة ٩٩.

(٧٤) انظر: المرجع السابق، صفحة ١١١.

(٧٥) انظر: المرجع السابق، صفحة ٧٤.

(٧٦) انظر: اليزيدية، صفحة ١٥٣.

(٧٧) انظر: اليزيدية من خلال نصوصها المقدسة، صفحة ١٥١- ١٦١.

(٧٨) مصحف رش، الفصل السابع.

(٧٩) سعيد الديوه جي، اليزيدية، صفحة ١٥٦.

(٨٠) انظر: المرجع السابق، صفحة ١٥٦.

(٨١) البداية والنهاية، الجزء التاسع، صفحة ٨٠.

(٨٢) وفيات الأعيان، الجزء الثالث، صفحة ٢٥٤.

(٨٣) مجموع الفتاوى، المجلد الثالث، صفحة ٣٧٧، وانظر المجلد الحادي عشر، صفحة ١٠٣.

(٨٤) النجوم الزاهرة، الجزء الخامس، صفحة ٥٥٨.

(٨٥) انظر: مجموع الفتاوى، المجلد الثالث، صفحة ٣٧٧، ومجموعة الرسائل الكبرى، الجزء الأول، صفحة ٢٨٠.

(٨٦) انظر: سير أعلام النبلاء، الجزء العشرون، صفحة ٣٤٤.

(٨٧) انظر: مجموعة الرسائل الكبرى، الجزء الأول، صفحة ٢٨٠، وانظر مجموع الفتاوى، المجلد الثالث، صفحة ٣٧٧.

(٨٨) المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٨٩) لمحات عن اليزيدية، صفحة ٣٥.

(٩٠) انظرك اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، صفحة ٢١.

(٩١) الزاوية بناء مخصص لإقامة ذكر الله سبحانه والصلاة وتلاوة القرآن الكريم، ويخص هذا المصطلح الصوفيين الذين بنوا زوايا خاصة بهم لإيواء الزهاد والمتنسكين. انظر: معجم الصوفية، صفحة ١٩٥.

(٩٢) الطريقة هي مصطلح يطلق على السيرة المختصة بالمتصوفة السالكين إلى الله عز وجل، والتمكن في المقامات والترقي في الأحوال، وكانت تدل خلال القرنين الثالث والرابع على أحوال الصوفية وسلوكهم، ثم أصبحت تدل على نظام من الرياضات الصوفية تمتاز بها كل طريقة. انظر: معجم الصوفية، صفحة ٢٦٣.

(٩٣) الطبقات الكبرى، الجزء الأول، صفحة ١١٨.

(٩٤) المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٩٥) المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٩٦) المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٩٧) المرجع السابق صفحة ١١٩.

(٩٨) انظر: قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر؛ صفحة ٨٥، ٨٩؛ والنبهاني، جامع كرامات الأولياء، الجزء الثاني، صفحة ١٤٧، ١٤٩.

(٩٩) الهيتمي، الفتاوى الحديثية صفحة ٣٠٣.

(١٠٠) انظر: الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، الطبعة الثالثة، صفحة ٣١٦.

(١٠١) مجموعة الرسائل الكبرى، الجزء الأول، صفحة ٢٩٤.

(١٠٢) قلائد الجواهر، صفحة ٨٥، و الطبقات الكبرى، الجزء الأول، صفحة ١١٨.

(١٠٣) المرجعان السابقان، نفس الصفحات.

(١٠٤) البداية والنهاية، الجزء الثاني عشر، صفحة ٢٤٣، وانظر: وفيات الأعيان، الجزء الثالث، صفحة ٢٥٤.

(١٠٥) انظر: اليزيدية: صفحة ١٣٠.

(١٠٦) اليزيدية ومنشأ نحلتهم، صفحة ٨م.

(١٠٧) انظر: اليزيدية واليزيديون، صفحة ٣٠.

(١٠٨) انظر: الإزيدية حقائق وخفايا وأساطير، صفحة ٤١.

(١٠٩) انظر:اليزيدية من خلال نصوصها المقدسة، صفحة ١٧٥- ١٧٩.

(١١٠) انظر: اليزيدية، سيد الديوه جي، صفحة ١٣١.

(١١١) انظر: خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الجزء الثاني، صفحة ١١٥٨، وكحالة، معجم المؤلفين، الجزء السادس، صفحة ٢٧٥، واليزيدية، صفحة ٥٦. وقد حققت هذه الرسالة مرتين؛ أولاهما بتحقيق محمد علي الياس العدواني وإبراهيم النعمة عام ١٩٧٥ بإشراف رئاسة ديوان الأوقاف، العراق، وثانيتهما صدرت في المملكة العربية السعودية عام ١٩٩٨.

(١١٢) اعتقاد أهل السنة والجماعة، صفحة ١٢.

(١١٣) انظر: المرجع السابق، صفحة ١٤.

(١١٤) يطلق المتكلمون اسم الجوهر الفرد على الشيء المتحيز الذي لا ينقسم، ويسمون المنقسم جسما، وأما العرض فهو معنى زائد على ذات الجوهر. انظر: الحفني، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، الطبعة الثالثة، صفحة ٢٦٧ و٥٢٥.

(١١٥) انظر: اعتقاد أهل السنة والجماعة، صفحة ١٤- ١٥.

(١١٦) انظر: الديوه جي، اليزيدية، صفحة ٥٧.

(١١٧) اعتقاد أهل السنة، صفحة ٢٦.

(١١٨) المرجع السابق ونفس الصفحة.

(١١٩) المرجع السابق، صفحة ١٥- ١٦.

(١٢٠) المرجع السابق، صفحة ١٧.

(١٢١) انظر: المرجع السابق، صفحة ١٧- ١٨.

(١٢٢) المرجع السابق، صفحة ٢٠.

(١٢٣) ورد حديث بهذا المعنى في سنده ضعف لوجود زكريا بن منظور في رواته، وقد قال فيه البخاري وابن حبان وغيرهما "منكر الحديث"، ولكن الحديث مروي من طريق آخر عن ابن عمر، رواه أبو داود وأحمد بن حنبل والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وعلق عليه الشيخ الألباني وقال رجاله ثقات لكنه منقطع. والقدرية هم الذين يثبتون القدر لأنفسهم دون ربهم، ويقدرون على أفعالهم دون خالقهم. انظر "بتصرف" الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، الطبعة الأولى، صفحة ١٧.

(١٢٤) اعتقاد أهل السنة والجماعة، صفحة ٢٠- ٢١.

(١٢٥) انظر: المرجع السابق، صفحة ١٩.

(١٢٦) انظر: المرجع السابق، صفحة ٢٠- ٢١.

(١٢٧) انظر: المرجع السابق، صفحة ٢٢.

(١٢٨) البقرة: ٢٨٦.

(١٢٩) البقرة: ٧.

(١٣٠) المرجع السابق، صفحة ٢٤.

(١٣١) انظر: المرجع السابق، صفحة ٢٢، ٢٣.

(١٣٢) المرجع السابق، صفحة ٢٣.

(١٣٣) المرجع السابق، صفحة ٢٣.

(١٣٤) انظر: جارالله، المعتزلة، صفحة ٧٧.

(١٣٥) الصابوني، عقيدة السلف وأصحاب الحديث، النشرة الأولى، صفحة ١٦٩.

(١٣٦) اعتقاد أهل السنة والجماعة، صفحة، ٢٧.

(١٣٧) انظر: الشهرستاني، نهاية الاقدام في علم الكلام، تصحيح الفرد جيوم، صفحة ٣٥٦- ٣٥٧.

(١٣٨) انظر: اعتقاد أهل السنة والجماعة، صفحة ٢٥.

(١٣٩) انظر، البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، الطبعة الثانية، صفحة ٣٠٣.

(١٤٠) اعتقاد أهل السنة والجماعة، ص٢٩.

(١٤١) اعتقاد أهل السنة والجماعة، ص٢٩.

(١٤٢) لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ، وإنما بما في معناه في صحيحي البخاري وسلم، والمستدرك، ومسند احمد، وصحيح ابن حبان وغيرها من الصحاح والسنن والمسانيد، وكلها أحاديث صحيحة تشير إلى أن لكل نبي دعوة مستجابة، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم خبأها لأمته يوم القيامة. انظر: البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى "إنما قولنا لشيء إذا أردناه" حديث رقم ٧٤٧٤، والنيسابوري، مسلم بن الحجاج، ت ٧٨٥م، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة، حديث رقم ١٩٨.

(١٤٣) السعدان: جمع سعدانة، وهو نبات ذو شوك يضرب به المثل في طيب مرعاه. انظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المجلد الحادي عشر، باب الصراط جسر جهنم، حديث رقم ٦٥٧٣.

(١٤٤) انظر: اعتقاد أهل السنة والجماعة، صفحة ٣٠- ٣١.

(١٤٥) لم أعثر على هذا الحديث بهذا النص، وإن كان معناه صحيحا، كما ورد في الصحاح والمتن والمسانيد.

(١٤٦) انظر: المرجع السابق، صفحة ٣٢.

(١٤٧) انظر الحديث بتمامه في: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب وأنذرهم يوم الحسرة، حديث رقم ٤٣٦١.

(١٤٨) انظر: اعتقاد أهل السنة والجماعة، صفحة ٣٣- ٣٤.

(١٤٩) انظر: المرجع السابق، صفحة ٣٣.

(١٥٠) المرجع السابق، صفحة ٣٣.

(١٥١) انظر المرجع السابق، صفحة ٣٣.

(١٥٢) الحديث ليس بهذه الصيغة، وإنما "... إن أمر عليكم عبد مجدع" حسبتها تقول، راوية الحديث وهي جدة الصحابي يحيى بن حصين، أسود يقودكم بكتاب الله تعالى، فاسمعوا له واطيعوا "انظر صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا، حديث رقم ١٢٩٨.

(١٥٣) التفتازاني، شرح المقاصد، الجزء الخامس، الطبعة الأولى، صفحة ٢٤٣.

(١٥٤) اعتقاد أهل السنة والجماعة، صفحة ٣٤.

(١٥٥) انظر: المرجع السابق، صفحة ٤٥.

(١٥٦) لم أعثر على هذا الحديث في كتب الحديث، مع وجود أحاديث كثيرة في فضائل هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم.

(١٥٧) انظر: المرجع السابق، صفحة ٢٨.

(١٥٨) انظر: اعتقاد أهل السنة والجماعة، صفحة ٢٧- ٢٨.

المصادر والمراجع

الأحمد، سامي سعيد، ١٩٧١، اليزيدية أحوالهم ومعتقداتهم، الجزء الأول، نشر جامعة بغداد.

الأشعري، علي بن إسماعيل، الابانة عن أصول الديانة، تحقيق فوقية حسين محمود، ١٩٧٧، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى.

الأمين، عبد الله، ١٩٩١، دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة، دار الحقيقة، بيروت، الطبعة الثانية.

ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد، ت ٦٣٠ هـ، الكامل في التاريخ، الجزء التاسع، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، بدون سنة طبع أو تاريخ.

ابن تغري بردى، يوسف، ت ٨٧٤هـ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الخامس، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨، مجموع الفتاوى، المجلد الثالث، جمعه عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم العاصي.

النجدي الحنبلي، ١٣٩٨هـ، تصوير الطبعة الأولى، مجموع الفتاوى، الجزء الحادي عشر.

مجموع الرسائل الكبرى، الجزء الأول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، بدون تاريخ وطبعة.

ابن حجر، أحمد بن علي، ت ٨٥٢، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المجلد الحادي عشر، تصحيح وتحقيق وإشراف الشيخ عبد العزيز بن باز، نشر وتوزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

ابن حزم، علي بن أحمد، ت ٤٥٦، الفصل في الملل والأهواء والنحل، المجلد الرابع، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٥.

ابن خلكان، أحمد بن محمد، ت ٦٨١ هـ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، الجزء الثالث، تحقيق إحسان عباس، ١٩٧٠، دار صادر، بيروت.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، ت ٧٧٤هـ، البداية والنهاية، الجزء الثاني عشر، مكتبه المعارف، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٣.

ابن مسافر، عدي، ت ٥٥٧، اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق محمد علي الياس العدواني وإبراهيم النعمة، ١٩٧٥، رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد.

الاسفراييني، شاهفور بن طاهر بن محمد، ت ٤٧١، التبصير في الدين، تحقيق محمد زاهد الكوثري، ١٩٤٠، مطبعة الأنوار، الطبعة الأولى.

أسود، عبد الرزاق محمد، ١٩٨٨، الدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، المجلد الثالث، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الأولى.

أبو زهره، محمد، ١٩٨٩، تاريخ المذاهب الإسلامية، الجزء الأول، دار الفكر العربي.

البخاري، محمد بن إسماعيل، ت ٨٦٩م.

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد، ت ٤٢٩، الملل والنحل، تحقيق د. البير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية.

البوطي، محمد سعيد رمضان، ١٣٩٠هـ، كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.

التادفي، محمد بن يحيى، ١٣٥٦هـ، قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر، القاهرة.

التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله، ت ٧٩٣هـ، شرح المقاصد، الجزء الخامس، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، ١٩٨٩، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة الكليات الزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى.

تيمور، أحمد، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٢٨.

جارالله، زهدي، ١٩٧٤، المعتزلة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت.

الجراد، خلف، ١٩٩٥، اليزيدية واليزيديون، دار الحوار للنشر، اللاذقية، طبعة أولى.

كتاب الجلوة، الفصل الثاني.

الجويني، عبد الملك بن عبد الله، ت ٤٧٨هـ، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق د. محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، ٢٠٠٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة.

الحسني، عبد الرزاق، اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، الطبعة الحادية عشرة.

الحفني، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة.

خليفة، حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الجزء لثاني، استانبول، ١٩٤١.

الديوه جي، سعيد، ٢٠٠٣، اليزيدية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨، سير أعلام النبلاء، الجزء العشرون، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ١٩٨٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة أولى.

الزركلي، خير الدين، الأعلام، الجزء الرابع، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة عشرة.

الزوبي، ممدوح، ٢٠٠٤، معجم الصوفية، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.

السالمي، عبد الله بن حميد، مشارق أنوار العقول، الجزء الثاني، تحقيق الشيخ أحمد بن حصد الخليلي، ١٩٨٩، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.

السامرائي، عبد الله سلوم، ١٩٨٨، الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، دار واسط للنشر، بغداد، الطبعة الثالثة.

السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد، ت ٦٤٣، تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات، تحقيق محمود ربيع وحسن قاسم، ١٣٥٦هـ، مطبعة العلوم والآداب، مصر.

السفاريني، محمد بن أحمد، لوامع النوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، الجزء الثاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ودار الخاني، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٩٩١.

الشعراني، عبد الوهاب، ت ٩٧٣هـ، الطبقات الكبرى، الجزء الأول، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، مصر، بدون رقم طبعة أو تاريخ.

سمو، أزاد سعيد، ٢٠٠١، اليزيدية من خلال نصوصها المقدسة، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عنان، الطبعة الأولى.

الشهرستاني، عبد الكريم ت ٥٤٨، نهاية الأقدام في علم الكلام، تصحيح الفرد جيوم، بدون رقم طبعة أو تاريخ.

الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم، ت ٥٤٨، الملل والنحل، الجزء الأول، تحقيق الشيخ أحمد فهمي محمد، ١٩٤٨، مكتبة الصين التجارية، القاهرة، الطبعة الأولى.

الصابوني، إسماعيل بن عبد الرحمن، ت ٤٤٩، عقيدة السلف وأصحاب الحديث، تحقيق ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، ١٤١٥هـ، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، النشرة الأولى.

الصنعاني، محمد بن إسماعيل، ت ١١٨٢ رفع الأستار لأبطال أدلة القاتلين بفناء النار، تحقيق، محمد ناصر الدين الألباني، ١٩٨٤، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى.

عبود، زهير كاظم، ١٩٩٤، لمحات عن اليزيدية، مكتبة النهضة.

عبود، زهير كاظم، ٢٠٠٥، اليزيدية حقائق وخفايا وأساطير، المؤسسة العربية للدراسات والقشر، بيروت، الطبعة الأولى.

الفيل، سهير محمد علي، ١٩٩٠ ، اليزيدية، الجزء الثاني، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى.

كحالة، عمر رضا، ١٩٥٨ ، معجم المؤلفين، الجزء السادس، دمشق.

مصحف رش "المصحف الأسود" نص رقم ١٢– ١٥.

الملطي، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، ت ٣٧٧هـ، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تقديم وتعليق محمد بن زاهد الكوثري، ١٩٨٦، مكتبة المثنى، بغداد، ومكتبة المعارف، بيروت.

النبهاني، يوسف بن إسماعيل، جامع كرامات الأولياء، الجزء الثاني، دار صادر، بيروت، بدون رقم طبعة أو تاريخ.

الهيتمي، أحمد بن حجر، ت ٩٧٤هـ، الفتاوى الحديثية، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج، ت ٧٨٥م، كاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة.

The Investingation of Debate in the Sheikh Adey Ibn Musafir's creed and His Relationship with Al-yazidiyyah

M. Al-Omari *

ABSTRACT

This study deals with the actual belief of Shikh Adey ibn Musafnir a prominent scholar of Islam of whom people had different views; some gave him the level of divinity or associated him with God Almighty. Others described him as sofist of supernatural phenomenon. A third group considered him a very prominent scholar having the same creed of the Sunni school of thought.

`The research shows also his relationship to the Zaidi school of thought and their extreme views of the sheikh; They related to him saying and deeds which, according to the Sunni school of thought, lead to infidelity. The paper has investigated his creed and thought for his most important book "I'tiqad Ahl AlSunnah Wa Aljama'ah".

In conclusion, the paper showed that the sheikh did not exceed the creeds of the Sunni school of thought particularly the Asharites who relied upon the text and the reason in proving their creeds.

Keywords: Sheikh Adey Ibn Musafir, Al-Yazidiyyah.

* Faculty of Shari'a, University of Jordan. Received on 4/ 3/ 2009 and Accepted for Publication on 27/ 1/ 2010.